علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤ ــ ١٢١٦م) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ محمد عبد النعيم محمد عبده
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت تاريخ الحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م، ومن أمثلة هذه الدراسات دراسة د. أسمت غنيم عن الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، ودراسة د. ليلى عبد الجواد عن السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية، وغيرها من الدراسات التي استفدت منها وأثبتها في قائمة المصادر والمراجع والهوامش الخاصة بهذا البحث، الذي حاولت من خلاله التركيز على نقطة محددة، وهي دور البابا أنوسنت الثالث قبل وأثناء وبعد الحملة الصليبية الرابعة منذ دعوته لهذه الحملة في عام ١١٩٨م، ومدي مسئوليته عن انحرافها ضد القسطنطينية، وموقفه من استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م، ثم علاقته بعد ذلك ببطريركية القسطنطينية تحت حكم اللاتين، والجهود التي قام بها لمحاولة توحيد الكنيستين الشرقية والغربية.

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يوليو ٢٠١٩.

دعـوة البابـا أنوسـنت الثالـث للحملـة الصـليبية الرابعـة وانحـراف وجهتها:

تولي منصب البابوية سنة ١١٩٨م رجل من أعظم الشخصيات التي وليت هذا المنصب في العصور الوسطي، وهو البابا أنوسنت الثالث Innoccent III (١١٩٨ . ١٢١٦م)[١] الذي وضع لنفسه وللبابوية برنامجًا ضخمًا، على رأسه مشروع محو آثار حروب صلاح الدين في الشرق، واغتصاب بيت المقدس مرة أخري من المسلمين.[٢]

ولم تكد تمر على تولية أنوسنت الثالث مهام منصبه أشهر قليلة حتي دعا ـ في منتصف سنة ١١٩٨م ـ للحملة الصليبية الرابعة، ثم أرسل بعد قليل إلى إيمار [٣] Aymar بطريرك مملكة بيت المقدس، يطلب منه إرسال تقرير مفصل إلى روما عن الموقف في بلاد الشام، ويأمره أن يعني في ذلك التقرير بالبيانات الخاصة بمدي قوة حكام المسلمين والعلاقات فيما بينهم وبين بعض.[٤]

وسرعان ما أخذت الاستعدادات للحملة الصليبية الرابعة تسير سيرًا سريعًا، بفضل جهود جماعة من المتحمسين والدعاة، غير أنه يلاحظ في تكوين هذه الحملة أنها لم تكن حملة شعبية، ولم تكن حملة ملوك وأباطرة، وإنما كانت حملة أمراء، ساهم فيها وتولي قيادتها عدد كبير من البارونات الفرنسيين والفلمنكيين وغيرهم، وإن كانت الغلبة فيها للعنصر الفرنسي.

وفي مقدمة هؤلاء جميعًا كان بلدوين التاسع أمير فلاندرز، وأخوه هنري، وبونيفيس دي مونتفرات [٥] وثيبوت الثالث أمير شامبني، ولويس أمير بلوا[٦]. وكانت الخطوة الأولي أمام الصليبيين هي تحديد وجهة الحملة، وهنا رأي صغار النبلاء وعامة الفرسان أن تكون وجهتهم بلاد الشام، ليشقوا طريقهم مباشرة إلى بيت المقدس، في حين رأي كبار الأمراء والقادة أن يوجهوا ضربتهم ضد مصر بوصفها مركز المقاومة الحقيقي ضد الصليبيين بالشام، والمخزن

الكبير الذي استمد منه الأيوبيين مواردهم البشرية والمادية في محاربة الصليبيين.[٧]

وهكذا استقر الرأي على أن تكون مصر مقصد الحملة الصليبية الرابعة[٨]، وبعد أن حدد الصليبيون وجهة حملتهم بقي عليهم أن يعدوا السفن اللازمة لنقلهم إلى الشواطئ المصرية، فاتصلوا بالبندقية ودوقها أنريكو داندولو Enerico Dandolo [٩]، وعقدوا معها اتفاقية سنة ١٢٠١م لذلك الغرض، وأخذ الصليبيون يحتشدون في البندقية فعلاً في صيف سنة ١٢٠٢م انتظارًا لنقلهم إلى شواطئ مصر، ولكن البندقية ودوقها داندولو، كانت لا تهتم عندئذ بالصالح الصليبي قدر اهتمامها بمصالحها الخاصة، فانتهزت فرصة حاجة الصليبيين إلى المال، وعجزهم عن دفع ثمن نقلهم بالسفن إلى مصر، لتطلب من الصليبيين مهاجمة مدينة زارا Zara [١٠] على الشاطئ المقابل للبحر الإدرياتي، والتي انتزعها منهم ملك هنغاريا ـ لاسترادها منه، وتسليمها للبنادقة ثمنًا لنقلهم إلى مصر[١١] ـ وقد اغري داندولو الصليبيين بثراء مدينة زارا وغناها، وأنهم سوف يدفعون باقي المبلغ المتفق عليه من الغنائم التي سوف يحصلون عليها.[١٢]

وكان أن استجاب الصليبيون لذلك العرض، رغم اعتراض البابا أنوسنت الثالث الذي غضب عندما سمع بذلك وثار وهدد الصليبيين بإصدار قرار الحرمان الكنسي ضدهم، فلم يعبأ الصليبيون والبنادقة بذلك، وهاجموا مدينة زارا ونهبوها في اكتوبر سنة ١٢٠٢م ـ وهو البلد المسيحي الآمن ـ مما يدل دلالة واضحة على بداية انحراف الحملة الصليبية الرابعة، وعدم تمييزها في ذلك الدور الجديد بين مهاجمة المسلمين ومهاجمة المسيحيين.

وزاد الموقف سوءًا أن زارا لم تكد تقع في قبضة الصليبيين حتي دب الخلاف بينهم وبين البنادقة حول اقتسام الغنائم المسيحية، وتحول الخلاف إلى نزاع مسلح انتهي باتفاق سريع بين الطرفين.[١٣] أما البابا أنوسنت الثالث فيقال إن الاستياء بلغ به حدًا جعله يصدر قرار الحرمان ضد الحملة الصليبية

بأكملها، ثم خفف قراره بعد ذلك، وجعله ضد البنادقة المشتركين فيها، بوصفهم مسئولين عن انحراف الحملة الرابعة إلى زارا.(١٤)

وفي الوقت الذي استعد الصليبيون للإبحار نحو مصر، إذا بثورة تنشب في القسطنطينية انتهت بخلع الإمبراطور البيزنطي إسحاق الثاني إنجيلوس، وفرار ابنه ألكسيوس إلى الغرب طالبًا المساعدة من البابا أنوسنت الثالث وجموع الصليبيين، أما الثمن الذي عرضه ألكسيوس مقابل تلك المساعدة فكان مغريًا جدًا، ويتلخص في إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية فضلاً عن مساعدة الصليبيين في حملتهم ضد مصر.(١٥)

ومن الطبيعي أن يصادف هذا العرض هوي في نفس البابا أنوسنت الثالث، ولا سيما أنه كان ينص على خضوع كنيسة القسطنطينية وإمبراطوريتها لكنيسة روما، وهذا ما تمناه البابا أنوسنت وعمل من أجله.(١٦) في حين وجدت البندقية فيه تحقيقًا لفوائد مادية ضخمة، وهنا نلاحظ أن البنادقة بالذات لم يكونوا مستعدين لمعاداة الملك العادل سلطان الدولة الأيوبية، وحمل الصليبيين إلى شواطئ مصر، نظرًا لما صار لهم من مصالح اقتصادية واسعة في مصر عندئذ.(١٧)

ولا أدل على نفاق البنادقة مع الصليبيين عندئذ، من أنهم في الوقت الذي كانوا يساومون الصليبيين على الأجر اللازم لنقلهم إلى شواطئ مصر، إذا بهم يدخلون في مباحثات اقتصادية مع السلطان العادل، وأرسلوا بعض المبعوثين إلى مصر فعلاً سنة ١٢٠٢م، فعقدوا اتفاقية مع السلطان العادل، وتعهدوا له بعدم مساعدة أي مشروع صليبي ضد مصر.(١٨) وقد أضفي الملك العادل على البنادقة امتيازات تجارية واسعة في مصر، وعقد معهم معاهدة تجارية حققت لهم كثيرًا من الفوائد، كما خفض لهم الضرائب، وسمح بإقامة فندق آخر جديد لهم بالإسكندرية.

وهكذا لم يكن في صالح البنادقة بأي حال التضحية بمصالحهم التجارية في مصر، وإثارة القطيعة مع السلطان العادل، في الوقت الذي سيؤدي

اشتراكهم مع الصليبيين في غزو القسطنطينية إلى تحقيق مكاسب جديدة في ذلك المركز الهام الواقع على الطريق التجاري بين آسيا وأوربا، والتقاء البحرين الأسود والأبيض ، هذا فضلاً عن إتاحة الفرصة للبنادقة ليثأروا من الإمبراطورية التي حرمتهم من امتيازاتهم التجارية في القسطنطينية، وأضفت تلك الامتيازات على أعدائهم ومنافسيهم من الجنوبية.[١٩] أما الغرض الصليبي والكنيسة وبيت المقدس فكلها ألفاظ جوفاء في نظر البنادقة، لن يؤدي الجري وراءها إلا كساد تجارتهم وضياع مصالحهم الاقتصادية ذات الاعتبار الأول في نظرهم.[٢٠]

فإذا أضفنا إلى ذلك كله سوء العلاقة بين الصليبيين والبيزنطيين منذ الحملة الصليبية الأولي، وموقف الإمبراطورية البيزنطية من الحملات الصليبية المتعاقبة منذ سنة ١٠٩٧م ، واعتقاد البابوية والغرب الأوربي أن الدولة البيزنطية مسئولة عن عرقلة جهود الصليبيين في الشرق، وعن فشل كثير من الحملات الصليبية التي سلكت أراضيها، والنفور القديم المتأصل بين الكنيستين الشرقية والغربية، ورغبة البابا أنوسنت الثالث في تحقيق سيادة البابوية العالمية، وإدخال الكنيسة الشرقية تحت نفوذه[٢١] ، أدركنا في نهاية الأمر لماذا صادفت فكرة اتجاه الصليبيين ضد القسطنطينية قبولاً عامًا سريعًا من البابوية والبنادقة والرأي العام في الغرب الأوربي جميعًا.[٢٢]

مدي مسئولية البابا أنوسنت الثالث عن انحراف الحملة:

اختلفت الآراء حول مسئولية تغيير اتجاه الحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية، وقد أرجع بعض المؤرخين مسئولية هذا التغيير إلى البابا أنوسنت الثالث، بدافع أساسي هو العداء القديم بين الكنيستين الشرقية والغربية، ورغبة البابا في إخضاع كنيسة القسطنطينية للسيادة البابوية والانتقام من البيزنطيين الذين عرقلوا مرور القوات الصليبية، وسببوا لها المتاعب منذ قيام الحروب الصليبية.[٢٣]

واتفق بعض المؤرخين على أن البنادقة ودوقهم العجوز انريكو داندولو هم المسئولون عن هذا التغيير في اتجاه الحملة، ويستندون في رأيهم هذا على المعاهدة التي أبرمت بين البنادقة وسلطان مصر الملك العادل الأيوبي.(٢٤)

وهناك فريق آخر من المؤرخين حمل الملك الألماني فيليب السوابي مسئولية انحراف الحملة ضد القسطنطينية، نظرًا لأن فيليب كان مرتبطًا بروابط المصاهرة مع الإمبراطور البيزنطي المخلوع إسحاق إنجيلوس، الذي زوجه من ابنته إيرين، وبالتالي فقد وجه فيليب السوابي الحملة ضد القسطنطينية حتي يعيد لوالد زوجته عرشه المفقود، ومن وجهة أخري حتي يحرز التفوق على البابوية أثناء صراعه معها بتوجيهه الحملة الوجهة التي يراها، وبذلك يجرد البابا من سيطرته عليها.

وأول من حمل فيليب السوابي مسئولية انحراف هذه الحملة ضد العاصمة البيزنطية هو البابا أنوسنت الثالث نفسه، فقد جاء في خطابه إلى الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث إنجيلوس في ١٦ نوفمبر ١٢٠٢م ما يلي:

"... إننا لم نعر أي اهتمام مطلقًا لاليكسيس بن الإمبراطور السابق إسحاق إنجيلوس، الذي ذهب لفيليب دوق سوابيا لكي يحصل على مساعدته من أجل انتزاع الإمبراطورية منك"

وفي موضع آخر من نفس الخطاب، يقول البابا:

"... وحينما اجبناه طبقًا لما نراه صالحًا، انسحب من عندنا وتوجه بخطي سريعة نحو فيليب ـ زوج شقيقته ـ المذكور آنفا، وحينما تشاورا معًا، ارسل فيليب على الفور رسله إلى زعماء الجيش المسيحي، يلتمس منهم ضرورة اقتحام مملكة القسطنطينية مع ألكسيوس، وانهم يجب أن يعيروه النصح والتأييد من أجل استعادتها لأنه ووالده جردا من حقهما في الإمبراطورية ظلمًا".(٢٥)

أما عن مسئولية البابا أنوسنت الثالث عن انحراف الحملة الصليبية الرابعة، فقد عارض البابا أنوسنت الثالث منذ البداية تحول الحملة الصليبية

الرابعة، فأصدر قرار الحرمان ضد الصليبيين والبنادقة بعد استيلائهم على مدينة زارا المسيحية على ساحل دالماشيا عام ١٢٠٢م. غير أنه عاد وأصدر قرار العفو عن الصليبيين على أثر سفارة أرسلوها له، وقصر الحرمان على البنادقة وحدهم. ودعا هذا البعض إلى اتهام البابا بأنه المسئول عن تحول الحملة نحو القسطنطينية إذ ان قراره بالعفو عن الصليبيين كان يعني تشجيعهم على المضي في الهجوم على أي بلد مسيحي آخر حتي ولوكان القسطنطينية ذاتها.(٢٦)

ويبدو من خطاب كتبه البابا أنوسنت الثالث لبعض الأساقفة ممن كانوا في جيش الصليبيين ما شعر به البابا من آلام بعد الاستيلاء على زارا، وذكر البابا في هذا الخطاب الشروط الصارمة التي أصدر على أساسها غفرانه وعفوه، وذكر الوعد الذي أخذه الصليبيين على أنفسهم بأن يقدموا الولاء للبابوية ويكونوا طوع أمرها.

ووضح في هذا الخطاب أيضًا موقف البابا أنوسنت الثالث من اتجاه الحملة إلى بيزنطة إذ جاء به:

"لقد منعناهم من الاستيلاء على الأراضي البيزنطية، ومن القيام بسلبها أو نهبها بأية صورة من الصور، وتحت أية حجة حتي ولو لم يخضع البيزنطيون للكرسي الرسولي .. وحتي إذا كان إمبراطور القسطنطينية قد استولي على الحكم بخلع أخيه بعد تعذيبه.. نحن نريد بدون شك أن تكون الكنيسة البيزنطية وكنيسة روما قطيع واحد وتحت راع واحد، ولكن عنايتنا البابوية تحافظ قبل كل شيء على استمرار أولادها في الطريق السليم، فإذا انحرفوا عنه فعليها أن تعيدهم إلى الطريق السوي".(٢٧)

ورغم شروط البابا أنوسنت الثالث الصريحة بأن الصليبيين لا يملكون الحق في التدخل في الحوادث الداخلية الخاصة بالبيزنطيين، وتحذيرهم من مهاجمة الدولة البيزنطية، فقد قبل الصليبيون عرض الأمير البيزنطي ألكسيوس، وعرضوا عليه المساعدة لاسترداد عرش أبيه.

والمتأمل في هذا العرض، ويدرك أن بعضًا من نقاطه تحقق أحلام البابوية وآمالها خاصة خضوع كنيسة القسطنطينية لكنيسة روما.

وإذا حاولنا تحليل موقف البابا أنوسنت الثالث سيتضح لنا ذلك من خلال نقطتين هامتين وهما عجز البابا عن حسم مسألة زارا، وموقفه من عرض ألكسيوس بن إسحاق.

فعندما علم البابا باستيلاء الصليبيين والبنادقة على مدينة زارا عام ١٢٠٢م ثار، واسفرت ثورته عن إصداره قرار الحرمان ضد الصليبيين والبنادقة على السواء، ولكنه ما لبث ان ألغي قرار الحرمان استجابة لتوسلات الصليبيين وإلحاحهم، وأصدر قراره بالعفو عنهم دون البنادقة.(٢٨)

ولا ريب أن إصدار البابا لقرار العفو عن الصليبيين كان يحمل بين طياته تشجيع الصليبيين على المضي في طريقهم، والهجوم على أي بلد مسيحي آخر حتي ولو كانت القسطنطينية ذاتها.

وبالنسبة لموقف البابا أنوسنت الثالث ومندوبيه من عرض ألكسيوس بن إسحاق، فهذه النقطة موضوع خلاف بين المؤرخين، فيذكر فيلهاردوان أن البابا عندما سمع بنية الصليبيين والبنادقة في توجيه الحملة نحو القسطنطينية ندد ـ على لسان مندوبه ـ بهذا المشروع.(٢٩) هذا في حين أن روبرت كلاري يخبرنا بأن الأساقفة المرافقين للحملة افتوا بشرعية الذهاب إلى القسطنطينية لإعادة حقوق ألكسيوس بن إسحاق في العرش البيزنطي.(٣٠)

وهناك رواية أخري يطالعنا بها المؤلف المجهول لتاريخ المورة Chronique de More، وهي أن فيليب السوابي إمبراطور ألمانيا كتب للبابا أنوسنت الثالث يخبره بأمر الأمير البيزنطي ألكسيوس، ما آل إليه مصيره، ويرجوه مساعدته، ويذكر أن البابا رد عليه بالموافقة على ذلك، وأنه كتب للصليبيين يطلب منهم التوجه إلى القسطنطينية لإعادة الأمير البيزنطي، واعدًا إياهم أن كل من يموت في هذه الحملة يعتبر شهيدًا، وتغفر له ذنوبه وخطاياه.(٣١)

ويتعارض مع هذه الرواية خطاب أرسله البابا أنوسنت الثالث إلى الصليبيين في زارا، وقد احتوي هذا الخطاب على أمر رسمي من البابا بألا يهاجم الصليبيون البيزنطيون، إلا في حالة واحدة فقط، وهي رفضهم إمداد الحملة بالمؤن والزاد.(٣٢)

وسواء قبلت البابوية عرض ألكسيوس أو لم تقبله فإن البابا كان يأمل أن يخضع الكنيسة الشرقية لسيادة كنيسة روما، وهذا ما تضمنه عرض ألكسيوس، ومن ثم فمن الطبيعي أن يجد هذا العرض قبولاً لديه.(٣٣)

ورغم أن البابا أنوسنت الثالث لم يلب صراحة التماس الأمير البيزنطي ألكسيوس أنجيلوس الخاص بتأييد البابا له ضد عمه الذي اغتصب العرش، كما أنه لم يكن له أي دور كذلك في توجيه الحملة ضد القسطنطينية، وحين علم بنية الصليبيين على التوجه ضدها، حذرهم صراحة وبحزم من الإقدام على هذا العمل، وهددهم بتوقيع قرار الحرمان عليهم من جديد، إذا هم لم يمتثلوا لأوامره الخاصة بعدم مهاجمة اليونان، وأصر على ضرورة توجه الحملة لمصر مباشرة.

وإذا كان الماركيز بونيفيس أوف مونتفرات قد استغل نفوذه ومنصبه كقائد للحملة في عدم إبلاغ الصليبيين جميعًا بأوامر البابا كاملة، فهذه ليست مسئولية البابا.(٣٤)

يتضح من العرض السابق أن تحول الحملة إلى زارا أولاً ثم إلى القسطنطينية، ربما لم يكن بطريق الصدفة وحدها أو لظروف عرضية طارئة، وربما كان وفقًا لخطة مرسومة أطرافها البندقية وفيليب السوابي وبونيفيس أوفمونتفرات والبابا ذاته.

ولعل ما ساعد على تنفيذ هذه الخطة وجعلها ميسورة سهلة أحوال بيزنطة، وما آلت إليه من ضعف وتمزق في شتي المجالات، تلك الأحوال التي دعت الأمير البيزنطي ألكسيوس بن إسحاق أن يأتي إلى الغرب طالبًا العون

والمساعدة لاسترداد عرش أبيه، ودعته أيضًا للمساهمة في تحويل الحملة الصليبية الرابعة نحو بلاده.[٣٥]

وفي ضوء هذه الحقائق التاريخية، لا نكون بعيدين عن الصواب إذا نحن ارجعنا مسئولية الانحراف بالحملة الصليبية الرابعة ضد القسطنطينية، إلى البيزنطيين أنفسهم، واضطراب أحوالهم الداخلية، فمن تدهور في قواتهم العسكرية، إلى انحلال الجهاز الإداري في الدولة، إلى الصراع الداخلي من أجل الاستحواذ على العرش.

وقد كانت خطورة هذا الصراع تكمن في استعانة البيزنطيين اثناءه بالقوي الخارجية، حيث فر الأمير ألكسيوس انجيلوس إلى الغرب الأوربي، وبذل الوعود المغرية للصليبيين من أجل مساعدتهم له في استرداد العرش البيزنطي.

وهكذا فمع تسليمنا التام بكل ما ذكره المؤرخون عن دوافع البابا والبنادقة وفيليب السوابي والصليبيين عامة، وأطماع كل هؤلاء في الدولة البيزنطية، إلا أن الأحداث الداخلية التي مر بها البيزنطيون، ثم التجائهم للغرب الأوربي والاستعانة به في حل مشاكلهم، هي التي فجرت كل هذه الدوافع، وجعلتها تعبر عن نفسها تعبيرًا عمليًا واسع النطاق.[٣٦]

ولماذا لا يرحب الجميع بغزو القسطنطينية، ويفضلون ذلك عن قصد مصر؟ حقيقة أن في الاستيلاء على مصر تأمينًا للجبهة الجنوبية للصليبيين في الشام، ولكن أليس في الاستيلاء على القسطنطينية والدولة البيزنطية أكبر تأمين للجبهة الشمالية للصليبيين؟ حقيقة إن مصر هي المخزن الذي أمد الأيوبيين بالموارد التي استعانوا بها في محاربة الصليبيين، ولكن أليست الدولة البيزنطية وأراضيها هي الطريق البري المباشر بين الغرب الأوربي والأراضي المقدسة في الشام، وهو الطريق الذي تجب العناية به لحماية خطوط المواصلات بين الصليبيين في الشرق وقواعدهم الأولي في الغرب؟

إن آخر ما يذكره الغرب الأوربي للدولة البيزنطية هو أن امبراطورها

إسحق الثاني أنجيلوس وضع العراقيل في وجه الحملة الصليبية الثالثة، ولم يسهل للإمبراطور فردريك بربروسا مهمة عبور أراضي الدولة لمحاربة المسلمين، حتي اضطر فريدريك ـ وهو في البلقان ـ إلى أن يبعث إلى ألمانيا يأمر ابنه هنري بإعداد أسطول لمهاجمة البيزنطيين، كما ارسل إلى البابا يرجوه الدعوة لحملة صليبية ضد الدولة البيزنطية، ويقول إن الحركة الصليبية لن تنجح إلا إذا استولى الصليبيون على القسطنطينية.(٣٧)

وهكذا انحرفت الحملة الصليبية الرابعة عن هدفها الأساسي ورسالتها الدينية، فاتجهت ضد القسطنطينية، واستولي عليها الصليبيون سنة ١٢٠٤م، وعندئذ نسى الصليبيون أو تناسوا أنهم فتحوا بلدًا مسيحيًا، وأنهم اقتحموا أكبر مركز ظل يحمل لواء المسيحية في الشرق طوال تسعة قرون، وهو المركز الذي لم تفلح محاولات المسلمين المتكررة حتي ذلك الوقت في الاستيلاء عليه، مما جعل منه البوابة الرئيسية التي تحمي أوربا المسيحية من جهة الشرق.

وكان أن انساح الصليبيون في طرقات المدينة وشوارعها كالجراد المنتشر، يقتلون من صادفهم من الرجال والنساء والأطفال، بحيث لم يقع بصرهم على تحفة أو ثروة إلا نهبوها، ولم يتركوا أثرًا فنيًا وأدبيًا إلا أفسدوه وخربوه، فشبع منهم من كان جائعًا واغتني من كان فقيرًا.

حتي الكنائس والأديرة لم تسلم من عبث الصليبيين، ولم تنج من أيديهم، وهم الذين حملوا شارة الصليب على صدورهم وأكتافهم، وإدعو أنهم خرجوا من بلادهم لخدمة المسيحية ولمحاربة المسلمين.(٣٨)

وحسبنا أن الصليبيين اقتحموا كنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية(٣٩)، وهم سكاري فمزقوا الستائر والبسط والفرش، وداسوا الكتب المقدسة بأقدامهم وحطموا الأيقونات الفضية ذات القيمة الفنية النادرة. والغريب ما يرويه ابو شامة من أن الصليبيين باعوا عندئذ كثيرًا من المنهوبات التي استولوا عليها في القسطنطينية للمسلمين.(٤٠)

وبعد أن انتهت موجة النهب والسلب، أخذ الشركاء يفكرون في تقسيم الغنيمة الكبري في جو مشبع بروح التباغض بين البنادقة من ناحية والصليبيين من ناحية أخري.[٤١] وقد استقر الرأي على اختيار إمبراطور وبطريرك جديدين للقسطنطينية، فاشتد التنافس بين زعماء الصليبيين حول الفوز بمنصب الإمبراطورية، حتي انتهي الأمر باختيار بلدوين كونت فلاندرز ـ امبراطورًا، وتم تتويجه في كنيسة القديسة صوفيا في مايو سنة ١٢٠٤م، أما منصب البطريركية فقد اختير له أحد البنادقة ـ وهو توماس موروسينى Thomas Morosini ـ الذي كان أول رجل كاثوليكي يتولى رئاسة كنيسة القسطنطينية.[٤٢]

موقف البابا أنوسنت الثالث من استيلاء اللاتين على القسطنطينية عام ١٢٠٤م:

إذا كان البابا أنوسنت الثالث تلقي في البداية نبأ استيلاء اللاتين على القسطنطينية بتحفظ، ولم يخف شكوكه في مدي صدق ألكسيوس الرابع وإخلاصه في تنفيذ عرضه، وظل مرتابًا في أمر الهجوم على القسطنطينية، فإن الأمير بلدوين فلاندرز Boldwin of Flanders (١٢٠٤ . ١٢٠٥م) ـ الذي اعتلي عرش القسطنطينية بعد فتحها في أبريل ١٢٠٤م ـ قدم للبابا من الحجج ما يكفي للحصول على موافقة البابا وتشجيعه بل وتأييده لفتح القسطنطينية، إذ أرسل بلدوين للبابا أنوسنت الثالث وللعالم المسيحي أجمع خطابا عاما، قص فيه الأحداث التي أدت إلى الاستيلاء على القسطنطينية وتتويجه امبراطورا لها.

وأوضح بلدوين في هذا الخطاب : "أن الفتح تم بفضل العناية الإلهية التي ساعدت اللاتين في إحراز النصر، وأن التحول نحو القسطنطينية لا يمكن أن يكون إلا من أجل كنيسة روما ومجدها، وإنقاذ الأرض المقدسة واستخلاصها.

وليس أدل على ذلك مما أظهره شمامسة وفرسان الإمارات الصليبية في

بلاد الشام ـ الذين حضروا حفل تتويجه ـ من سرور وسعادة من بين الجميع لعودة القسطنطينية إليهم، ولأنها من الآن فصاعدًا سوف تكرس نفسها لمحاربة أعداء الصليب".

وفي نهاية خطابه هذا طلب من البابا أنوسنت الثالث أن يرسل رجال الدين إلى القسطنطينية من أجل الدعوة للعقيدة الكاثوليكية وإدارة الكنائس، ودعا الإمبراطور بلدوين البابا أنوسنت إلى أن يأتي إلى القسطنطينية من أجل أن يعقد بنفسه مجمعًا كنسيًا بها، وأن يكون البابا على رأس هذا المجمع.(٤٣)

ومما اغري البابا أنوسنت الثالث وزاد من تحمسه للفتح اللاتيني للقسطنطينية ما تبع خطاب بلدوين فلاندرز من خطابات أخري ارسلها القادة الصليبيون، ومن بينهم: بونيفيس أوف مونتفرات ، والقديس لويس من بلوا ، والقديس سانت بول، بل ودوج البندقية داندولو ذاته.

وقد أكد القادة الصليبيون في خطاباتهم للبابا الخضوع والطاعة العمياء للكرسي الرسولي في روما ـ واعترف دوج البندقية أنريكو داندولو ـ الذي كان حتي الآن لا يبالي بتهديدات الكنيسة ـ بالسلطة المطلقة للبابا من أجل أن يرضيه، وأشار داندولو إلى أن فتح القسطنطينية ما هو إلا بداية لإنقاذ الأراضي المقدسة.(٤٤)

واعتقد البابا أنوسنت الثالث من خلال خطاب الإمبراطور بلدوين، وخطابات القادة الصليبيين أنه سيبلغ الهدف المزدوج الذي كان يسعي من أجله منذ اعتلائه عرش البابوية عام ١١٩٨م، ممثلاً في تحقيق السيادة لكنيسة روما واسترداد الأراضي المقدسة.(٤٥)

ولهذا قرر البابا أنوسنت الثالث أن يهنئ بلدوين ويبارك انتصاره، ووضعه هو والامبراطورية الناشئة تحت حمايته، بل واعتبره فصلاً تابعًا للبابا.

ودعا البابا المطارنة (٤٦) والأساقفة (٤٧) والقساوسة وسائر رجال الدين، والملوك، والدوقات، والكونتات وسائر الأمراء، وكل الشعوب إلى مساندة

إمبراطور القسطنطينية بلدوين وتأييده، ومد يد المساعدة له حتي يتمكن من الاستيلاء على الأراضي المقدسة.(٤٨)

ودعا البابا أيضًا رجال الدين والصليبيين في القسطنطينية إلى أن يتولوا عملية الدفاع عن الإمبراطورية اللاتينية وحمايتها كخطوة نحو فتح الأراضي المقدسة، وأن يمدوا الإمبراطور بلدوين بالنصح المفيد والعون الفعال.

وأنهي البابا خطابه بدعوة الإمبراطور بلدوين إلى تكريس حكمه لتحقيق هدف كنيسة روما في أن تكون كنيسة القسطنطينية والإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية تابعة لها.(٤٩)

ويبدو من خطاب البابا أنوسنت الثالث إلى بلدوين أنه علق أهمية كبيرة على الفتح بالنسبة لمستقبل بيت المقدس، واعتقد البابا أن القسطنطينية ستصبح بعد فتحها مركزًا لتنظيم الحرب الصليبية، وقاعدة لتقديم المساعدات الضرورية للصليبيين في الشرق، كما أن البابا علق أهمية كبيرة أيضًا على فتح القسطنطينية فيما يتعلق بعودة الكنيسة الشرقية إلى طاعة كنيسة روما.(٥٠)

وإذا كان البابا أنوسنت الثالث تحمس للإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وتعاطف مع امبراطورها بلدوين فلاندرز، ووضعه تحت حمايته، فإن حماسة هذا استحال غمًا وغضبًا عندما سمع بما اقترن بالفتح اللاتيني للقسطنطينية من نهب للمدينة وسفك للدماء، وارتكاب كل ما يخالف الدين من أعمال، فاشتد جزعه واستنكر هذه الأفعال في عبارات قوية حازمة مؤثرة حيث قال: "إننا لن نستطيع أن نعترف بما حدث دون عار أو ألم".(٥١)

وأكثر من ذلك، فحين وصلته أنباء الفظائع التي ارتكبها الصليبيون ضد البيزنطيين، حزن أشد الحزن، وأرسل رسالة إلى الماركيز بونيفيس أوف مونتفرات يؤنبه على فعلتهم هذه، فقال:

"بما أنكم في طاعة المسيح، وأخذتم على أنفسكم العهد لتحرير الأرض المقدسة من سلطة المسلمين، وبما إنكم منعتم تحت ضغط عقوبة الحرمان، من

مهاجمة أي أرض مسيحية أو إلحاق الدمار بها، إلا إذا أهاليها عرقلوا مروركم، أو رفضوا إمدادكم بما هو ضروري (وفي هذه الحالة لا تفعلوا شيئًا بخلاف ما يشير عليكم به المندوب البابوي).

وبما أنكم لا تملكون الحق، ولا ادعاء الحق تجاه اليونان، فإنكم حدتم عن طهر عهدكم، عندما زحفتم على المسيحيين بدلاً من المسلمين، واستوليتم على القسطنطينية بدلاً من أورشليم، وفضلتم كنوز الدنيا، على كنوز الآخرة، وما هو أكثر من ذلك كله، أنكم لم تبجلوا الدين، ولم تراعوا العمر أو الجنس.

لقد أصبحتم أمام العالم كله، أهلا للبغاء والزنا والفسوق، لقد اشبعتم غرائزكم الآثمة، ليس فقط بالزواج من النساء أو الأرامل، ولكن باغتصاب الزوجات والعذارى اللاتي وهبن أنفسهن للمسيح.

لم تفرحوا بالخزائن الإمبراطورية، وبضائع الأغنياء والفقراء، ولكنكم استوليتم على ثروة الكنيسة وكل ما يخصها، لقد نهبتم المناضد الفضية للمذابح، وحطمتم غرف المقدسات، وسرقتم الصلبان والأيقونات والآثار المقدسة.(٥٢)

ولأن الكنيسة اليونانية اخضعت بالقوة، فإنها رفضت سيادة الكرسي البابوي، لأنها لا تري في اللاتين، إلا الخيانة والشر فقط، لذلك فهي تعافهم كما تعاف الكلاب" (٥٣)

ولا يمكن أن يكون البابا هو الذي حرض الصليبيين على مهاجمة القسطنطينية، أو كان له أي دور في توجيههم هذه الوجهة، ثم يوبخهم كل هذا التوبيخ، ويحملهم مسئولية الانحراف بالحملة على هذا النحو.

ومما أثار غضب البابا أنوسنت أيضًا، تسابق الصليبيين إلى تصفية الامبراطورية البيزنطية دون استشارة المندوب البابوي، واقتسامهم ممتلكات الكنيسة البيزنطية دون ان يتركوا للكنائس والأديرة إلا الضروري لإعاشتها وبقائها.

لذا كتب البابا أنوسنت الثالث للإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية ولدوج البندقية ولجميع الأساقفة والبارونات أنه: "لا يمكن أن يقر أي ظلم أو جور أو اثم، وأنه لا يستطيع أن يصدق على أي اتفاق جارح سواء بالنسبة لكنيسة روما أو بالنسبة لكنيسة القسطنطينية"(٥٤)

هكذا رأي البابا أنوسنت الثالث أن جشع البنادقة وفرسان الغرب وشراهتهم في جمع ثروات رجال الكنيسة البيزنطية سوف يشكل عقبة في سبيل اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية الذي توقع تحقيقه، وأدرك أيضًا أن أمله في انقاذ الأراضي المقدسة مستقبلاً لم يكن سوي وهم.(٥٥)

ورغم موقف البابا أنوسنت الثالث هذا فمما لا شك فيه أن تأسيس الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية أدي إلى اتساع النفوذ الروحي والدنيوي لكنيسة روما، فإذا كان البطريرك البيزنطي قد لجأ إلى نيقية (٥٦)، ورفض أن يتعاطف مع اللاتين في القسطنطينية، فقد وجد فيها بطريركًا لاتينيًا يخضع للبابا.(٥٧)

البابا أنوسنت الثالث وبطريركية القسطنطينية:

بعد اختيار بلدوين فلاندرز ـ وهو من الفرنسيين ـ امبراطورا في مايو ١٢٠٤م، عين البنادقة ـ عملاً ببنود اتفاقية مارس عام ١٢٠٤م (٥٨) ـ رجال الدين التابعين لهم في كنيسة القديسة صوفيا (٥٩) ، وهؤلاء بدورهم انتخبوا توماس موروسينيThomas Morosini (٦٠) كأول بطريرك لاتيني، إلا إنه لم يكن موجودًا في القسطنطينية ساعة اختياره، كما أن رتبته الكنسية كانت مساعد شماس Sub _ Dealon ، وكان عليه قبل أن يرتدي الطيلسان Pallium أن يمر بثلاث مراحل من الترسيم، فيكون شماسًا ثم قسًا ثم أسقفًا.(٦١)

ظل البابا أنوسنت الثالث لعدة شهور، وهو لا يعلم بأمر اختيار توماس موروسيني بطريركًا للقسطنطينية وفي ٢١ يناير ١٢٠٥م، علم البابا بذلك، وعلم أيضًا بالطريقة التي تم بها انتخابه، ولا ندد بشدة بهذا الاختيار باعتباره لا يتفق ودستور الكنيسة.

ولم يكن اعتراض البابا على شخص موروسيني نفسه، فهو على حد قوله: "نعلم نحن وإخواننا أن الشخص الذي اختير، نبيل المولد، شريف، فطن ، ومثقفًا بالقدر الكافي"، ولكن اختيار بطريرك للقسطنطينية من صميم اختصاص البابا أو نائبه.(٦٢)

فقد انصب اعتراض البابا على أن رجال الدين "من البنادقة في كنيسة القديسة صوفيا، ليس لهم حق اختيار أسقف لتلك الكنيسة، إذ أنهم لم يعينوا فيها سواء من جانبنا أو من جانب مندوبنا البابوي".(٦٣)

لذلك فقد شعر البابا أنوسنت الثالث (بالألم) لأن انتخاب موروسيني تم في مجمع عام، إلا أن البابا أنوسنت الثالث خفف من احتجاجه عندما أعلن تصديقه على انتخاب توماس موروسيني، وذلك من أجل تحقيق عدة أهداف أولها أن يرضى الإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية (بلدوين فلاندرز)، وثانيها أن يمارس الحق البابوي في تعيين الأساقفة في مقر الكرسي الرسولي في القسطنطينية، وثالثها أن يشجع البنادقة على القيام بخدمات أكثر للكنيسة.(٦٤)

وفي ٥ مارس ١٢٠٥م قام البابا أنوسنت الثالث بترقية توماس موروسيني من شماس مساعد إلى شماس، وفي ٢٦ مارس عينه قسًا، وفي ٢٧ مارس جعله أسقفًا، وفي ٣٠ مارس أنعم عليه البابا بالعباءة .. Pallium الخاصة بمنصب رئيس الأساقفة، مع التوصية بارتدائها في احتفال مقدس.

وقد أمر البابا أنوسنت الثالث الإمبراطور بلدوين فلاندرز والدوج داندولو أن يحسنا استقبال البطريرك اللاتيني الجديد للقسطنطينية توماس موروسيني بصورة ودية تنم عن الصداقة وأن يكرموه ويجلوه ويحموه.(٦٥)

عجل أنوسنت الثالث بعد ذلك بالكتابة إلى بطريرك القسطنطينية توماس موروسيني لكي يتنازل عن حقه في تعيين البطاركة في المستقبل، على أن يتم اختيارهم طبقًا لإجراءات القانون الكنسي اللاتيني، وأكد البابا لموروسيني أنه لم

يقصد أبدًا أن يتطاول على امتيازات رجال الدين البنادقة في كنيسة القديسة صوفيا.(٦٦)

ومع ذلك اتخذ البابا أنوسنت الثالث خطوة ذات أهمية كبيرة في مايو عام ١٢٠٥م لتحديد سلطات رجال الدين البنادقة في كنيسة القديسة صوفيا في انتخاب بطاركة القسطنطينية فقد نصح البابا بأنه حين يصبح كرسي بطريرك القسطنطينية شاغرًا، ينبغى أن يجتمع جميع مطارنة كنائس الأديرة المجاورة للقسطنطينية في كنيسة القديسة صوفيا مع كهنتها، لينظروا في شأن انتخاب شخص مناسب يتفق عليه الجميع، "وينتخبوا شرعيًا شخصًا مناسبًا بالتزكية الجماعية أو بالأكثرية الغالبة على ما يرضى الله تعالي"، وكان هناك ثلاثون كنيسة ديرية مجاورة للقسطنطينية، وهذا يعني حرمان رجال الدين البنادقة في كاتدرائية كنيسة القديسة صوفيا من انفرادهم بهذا الحق.(٦٧)

وقد أوضح البابا أنوسنت الثالث في مرسومه لرجال الدين البنادقة في كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية أن الرأي الأول في المسائل الدينية عامة واختيار بطريرك القسطنطينية خاصة يجب أن يكون تحت إشراف وموافقة الكنيسة الأم في روما وراعيها البابا أنوسنت الثالث، لأن لها الحق في الإشراف على كل الكنائس الأدنى منها، ومنها كنيسة القسطنطينية حيث جاء في نص المرسوم ما يلي:

"من أنوسنتيوس الأسقف إلى أخيه الأجل بطريرك القسطنطينية وجميع رجال الدين الذين فيها ـ السلام والبركة الرسولية ـ رغم كون الكرسي الرسولي وهو الكنيسة الأم والمعلمة للكنائس كلها، لا يسيء إلى أحد لدي ممارسته حقوقه، ولا يجوز للكنائس الأدني منه مكانة أن تدعي أي شيء يسيء إليه، لأن كل تصرف فيها إنما ينبع من سلطته السماوية لأنه يدعو الكنائس الأخري إلى الإسهام في الرعاية، محتفظًا لنفسه بملء السلطة في كل شيء ـ

رغم هذا كله ـ فإننا نريد الآن تدبير شأن الكنيسة في القسطنطينية ونأبي أن نسلبك أيها الأخ البطريرك حرية الانتخاب الشرعى، بعد أن انتخبناك

وثبتناك ثم قدمناك للسيامة، كما لا نريد المساس بهذه الحرية، بأي مبادرة من طرفنا بطريقة لا يجوز معها ولا يمكن اتمام الانتخاب شرعيًا إذا ما شغر الكرسي في المستقبل، وعليه فإننا نمنحك هذه الرسالة من باب الاحتياط، ثم لما كانت لهذه الكنيسة المكانة الأولي بعد كنيسة روما، ولما كان رئيسها هو الثاني بعد بابا روما ولهذا السبب، ولما كان انتخابه يجب أن يتم بعد المزيد من البحث والمزيد من التداول والمشورة، على قدر مكانته السامية في كنيسة الله، فإننا نقرر بهذا المرسوم أنه إذا ما شغر هذا الكرسي فعلى جميع مطارنة كنائس الأديرة المجاورة للقسطنطينية، أن يجتمعوا في كنيسة القديسة صوفيا مع جميع كهنتها للنظر في أمر الانتخاب، وليتم الانتخاب بالتزكية الجماعية أو بالأكثرية الغالبة على ما يرضي الله تعالي".[٦٨]

وبالرغم من نفي البابا أنوسنت الثالث في مرسومه لأي قصد للتدخل في سلطات رجال الدين البنادقة فإن إعلانه المبدئي لامتياز حق البابا في انتخاب بطاركة القسطنطينية، كان هو الذي وضع السابقة التي ستتبع في المستقبل.[٦٩]

وقد تصدي البابا أنوسنت الثالث أيضًا بنجاح لمحاولات رجال الدين البنادقة السيطرة على البطريركية اللاتينية في القسطنطينية، فبعد أن قرر البابا أنوسنت أن يصدق على انتخاب بطريرك القسطنطينية موروسيني منحه العديد من الحقوق والامتيازات، فقد خلع عليه ـ في ٣٠ مارس ١٢٠٥م ـ الطيلسان مع تعليمات بارتدائه في الأيام المقدسة وعلى الصورة المعتادة، ومنحه جميع امتيازات كنيسة القسطنطينية، واعطاه حق حمل الصليب أمامه حيثما ذهب فيما عدا في روما ذاتها أو في أية مدينة أخري يكون بها نائب للبابا أنوسنت.

وفي نفس اليوم خلع البابا أنوسنت على توماس موروسيني امتيازات إضافية أخري من بينها حق العفو عن الذين اساءوا بعنف لرجال الكنيسة ما لم تكن الإساءة شديدة لدرجة ينبغي معها أن يذهب المسيء إلى روما سعيًا وراء العفو، كما منحه حق مسح الملوك بالزيت المقدس في إمبراطورية القسطنطينية

إن هم طلبوا منه ذلك، وله أن يعين كهنة في كنيسة القديسة صوفيا حيث أن مجمع رهبانها لم يضم غير القليل في هذا الوقت، ومنحه أيضًا حق الاستمرار ـ في الوقت الحالي ـ في الاحتفاظ بدخول الكنائس من أوقافها وجمع الدخل منها، وغير ذلك من الحقوق التي حصل عليها موروسيني من البابا أنوسنت الثالث.(٧٠)

ويتضح من ذلك أن البابا أنوسنت الثالث قد منح هذه الامتيازات والحقوق لبطريرك القسطنطينية الجديد حتي يوضح له ولرجال الدين البنادقة أن البابوية هي صاحبة الحق الأعلى في الإشراف على بطريرك القسطنطينية ومنحه حقوقه وامتيازاته.

عمل البنادقة على الحصول على مزيد من الامتيازات الدينية لمصلحتهم من بطريرك القسطنطينية اللاتيني (البندقي) فعندما غادر توماس موروسيني روما ـ بعد أن حصل على امتيازاته ـ وعاد إلى البندقية ليودع عائلته حيث مكث هناك حتي صيف عام ١٢٠٥م.

وهناك وعلى وجه التحديد في ١٣ مايو تنازل موروسيني لصالح بطريرك جرادو Grado البندقي عن كل الحقوق والسلطة القضائية على الكنائس التي كان يمتلكها البنادقة من قبل في القسطنطينية وفي أماكن أخري من الإمبراطورية.

وأعلن موروسيني بوصفه بطريرك القسطنطينية اللاتيني اعفاء هذه الكنائس من أية التزامات من جانبه أو من جانب خلفائه.(٧١)

لم يكتف البنادقة بالتنازلات السابقة التي حصلوا عليها من موروسيني، فانتزعوا منه قسمًا مؤداه ألا يعين كاهنًا ضمن جماعة رهبان كنيسة القديسة صوفيا إلا إذا كان بندقيًا، أو قضى عشر سنوات في البندقية، وأن يبذل كل جهده من أجل أن يكون البطريرك بندقيًا دائمًا، ويبدو أن هذا القسم كان قسمًا سريًا.(٧٢)

غير أن البابا أنوسنت الثالث كان للبنادقة بالمرصاد، فقد توقع حركتهم التالية هذه، وكان مستعدًا لمواجهتها بالفعل عن طريق تعيين مندوبين بابويين في القسطنطينية، ومنحهم حق تعيين رجال الدين نيابة عن البابا لمواجهة قرارات وامتيازات بطريرك القسطنطينية البندقي توماس موروسيني، ففي ٢٠ مايو عام ١٢٠٥م كتب البابا أنوسنت الثالث لبندكت كاردينال سانت صوفيا ـ الذي أوفده إلى القسطنطينية مندوبًا بابويًا ـ يقول:

"أنه منح من قبل البطريرك الجديد سلطة تعيين كهنة مناسبين في كنيسة القديسة صوفيا، فإذا أهمل البطريرك ذلك، وظل يصر على اهماله حتي ينبهه القاصد الرسولي، فإن الأخير يكون حينئذ مخولاً للقيام بالتعينات بنفسه، مع مراعاة أن يكون الكهنة الجدد أمناء ومن جميع الجنسيات".(٧٣)

ويبدو أن إصرار البابا أنوسنت الثالث على تعيين كهنة من جميع الجنسيات في كنيسة القديسة صوفيا يكشف عن شك البابا في أن البطريرك موروسيني سيحابي البنادقة على حساب الفرنسيين، ويتضح ذلك من شكوي البابا أنوسنت الثالث في ٢١ يونيه عام ١٢٠٦م إلى مندوبيه البابويين بندكت وبطرس كابوانو Peter Capuano من أن البطريرك موروسيني يهمل واجبه ويزدري رجال الكنيسة من الأمم الأخرى، ومضى يعين البنادقة فقط في الكنائس وخاصة كنيسة القديسة صوفيا.

وأمر البابا أنوسنت الثالث المندوبين البابويين بتنبيه البطريرك موروسيني بألا يؤجل تعيين كهنة أمناء متعلمين في هذه الكنائس، وإذا لم يراع ذلك فعليهما تهديده بإعفاء مرؤوسيه من رجال الدين من حكم الطاعة له.

كذلك أراد البابا أنوسنت أن يعرف ما إذا كان صدقًا أن البنادقة انتزعوا من بطريرك القسطنطينية موروسيني قسمًا معينًا أم لا؟ وما أن تأكد البابا من ذلك حتي أمر موروسيني بعدم مراعاة هذا القسم.(٧٤)

ويتضح من هذا خطة البنادقة للسيطرة على الكنيسة في الإمبراطورية

اللاتينية في القسطنطينية، فهم لم يجبروا البطريرك موروسيني على أن يتنازل عن السلطة القضائية على كنائسهم ذاتها حتي لا يفقد بطريرك جرادو الدخل أو النفوذ، بل حاولوا كذلك أن يضمنوا دومًا السيطرة على البطريركية في القسطنطينية ذاتها.

وأجبر البنادقة البطريرك موروسيني على أن يقسم بألا يعين كهنة في كنيسة القديسة صوفيا من غير البنادقة، وعلى أن يعمل من أجل أن يكون جميع رؤساء الأساقفة في المستقبل في البطريركية اللاتينية من البنادقة كذلك.

وهو شرط لو نفذ لضمن سلطان البنادقة المحلى عبر الإمبراطورية ـ وكان من الطبيعي أن تزعج خطة البنادقة المنظمة البابا أنوسنت، ولكن نظرًا لأنه مازال يعول على البنادقة في العمل على استمرار الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وتقويتها، لذا اقتصر على إبطال قسم موروسيني للبنادقة وحذره من القيام بأية محاولة للالتزام به.

على أن البابا أنوسنت الثالث ما لبث أن نفذ تحذيره للبطريرك اللاتيني ففي يوليو عام ١٢٠٦م أقر البابا تعيين كاهنين جديدين في كنيسة القديسة صوفيا، عينهما المندوبان البابويان بندكت وكابوانو، وكان كلا الكاهنين من غير البنادقة، كان أحدهما إيطاليًا ولكنه ليس بندقيًا وهو كلمنت، وكان الثاني فلمنكيًا (بلجيكيًا) ويدعي والتركورتيريWalter Courtrai.[٧٥]

ومضت جهود مماثلة للبابا تجري في غير انتظام في بطريركية موروسيني، ففي يوليو عام ١٢٠٧م أقر البابا أنوسنت الثالث أيضًا تعيين ويبرت Wibert كاهنًا في كنيسة القديسة صوفيا عن طريق المندوب البابوي الكاردينال بندكت.

وفي مارس عام ١٢١٠م طلب البابا أنوسنت الثالث من البطريرك موروسيني أن يتلقى ثلاثة كهنة فرنسيين جدد، وهكذا كافح البابا خطة البنادقة عن طريق تعيين غير البنادقة بواسطة مندوبيه.[٧٦]

وهكذا انتهت الجولة الأولي بين البابوية والبنادقة بانتصار ساحق للبابا أنوسنت الثالث، إذ مضي بطريرك القسطنطينية موروسيني يستقبل كل أولئك الكنسيين الذين أمره البابا بقبولهم، بل ووعد بحمايتهم.(٧٧)

وعندما توفي البطريرك توماس موروسيني في سالونيك (٧٨) في يونيه عام ١٢١١م، ظل منصبه شاغرًا أكثر من أربع سنوات، دارت خلالها مجادلات ومناقشات بيد الكهنة الفرنسيين والبنادقة على منصب البطريركية.

وانتهت هذه المجادلات بتعيين جرفاسيوس Gervasius (١٢١٥ ـ ١٢١٩م) بطريركًا في القسطنطينية من قبل البابا أنوسنت الثالث، وهو بندقي كسلفه، ولكنه مرشح من قبل الكهنة الفرنسيين.(٧٩)

يتضح من العرض السابق لعلاقة البابا أنوسنت الثالث بالبطريركية اللاتينية في القسطنطينية أن البنادقة حاولوا بسط نفوذهم على تلك البطريركية بشتي الطرق، غير أن البابا أنوسنت الثالث كان لهم بالمرصاد، ونجح إلى حد كبير في الحد من ذلك النفوذ، وذلك عن طريق الاحتفاظ بحق التعيين الفعلي لبطريرك القسطنطينية مع بعض التنازلات المحدودة للبنادقة حتي يضمن مساندتهم للمشروعات البابوية الأخرى.

وعلى أي حال فإن البابا أنوسنت الثالث كان يتطلع دائمًا إلى هدف البابوية الرئيسي، وهو إزالة العداء بين البيزنطيين واللاتين لتحقيق الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وعندما أصبح واضحًا أن وجود بطريرك لاتيني في القسطنطينية لا يمكنه تحقيق هذه الغاية، لهذا مهد البابا أنوسنت للتضحية بالبطريرك اللاتيني على أمل تحقيق وحدة الكنيستين الشرقية والغربية.

محاولة البابا أنوسنت الثالث توحيد الكنيستين الشرقية والغربية:

أصبحت الإمبراطورية اللاتينية التي أقامها الصليبيون في الشرق البيزنطي عبارة عن دولة إقطاعية كبيرة، تعرضت لجميع مساوئ النظام الإقطاعي المعروفة في الغرب الأوربي، لا سيما فيما يتعلق بالمنازعات بين

الأمراء والأحقاد المستمرة بين الأفصال وأمرائهم.(٨٠)

هذا بالإضافة إلى روح العداء التي استحكمت بين مختلف العناصر والجنسيات التي تألفت منها الحملة الصليبية الرابعة، كما ظهر ذلك في المنازعات بين الألمان والبرجنديين، وبين اللمبارديين والفلمنكيين، وبين جميع هؤلاء والبنادقة.(٨١)

أما فيما يتعلق بالموقف بين تلك الجموع الغربية اللاتينية من جهة والبيزنطيين الشرقيين من جهة أخري، فلم تبذل أيه محاولة للتوفيق بين الطرفين، ومن ثم ظل التباعد سائدًا بين الفريقين، ويبدو أن الغزاة الغربيين كانوا على درجة من الجمود والكبرياء بحيث لم يحاولوا تفهم الحضارة البيزنطية على حقيقتها، في حين احتقر البيزنطيون أولئك "البرابرة" الغربيين.(٨٢)

ولكن الوضع اختلف بالنسبة لعلاقة البابوية وعلى رأسها البابا أنوسنت الثالث مع رجال الدين البيزنطي، فقد أدرك البابا أنوسنت الثالث أن قيام الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية سوف يفتح الطريق أما تحقيق آمال البابوية الكاثوليكية، وخاصة بعد أن أصبح نبيل من نبلائها بطريركًا للقسطنطينية، وغدت شعائر الكاثوليكية قائمة بكنيسة القديسة صوفيا في القسطنطينية.

ولذلك حاول البابا أنوسنت الثالث بعد أن أصبح اللاتين سادة القسطنطينية أن يحقق الهدف الرئيسي الذي كانت تسعى إليه البابوية، وهو توحيد الكنيستين الشرقية والغربية.

وكان على البابا أنوسنت الثالث أن يحدد موقفه تجاه السلطة العلمانية في القسطنطينية وتجاه الشعب البيزنطي، وأن يعمل على اخضاع باقي الأقاليم البيزنطية لكنيسة روما، والتي ظلت مستقلة بعد عام ١٢٠٤م، وعلى رأسها إمبراطورية نيقية.(٨٣)

استخدم البابا أنوسنت الثالث كل ما لديه من حيل ومهارة سياسية من

أجل أن يكسب رجال الدين البيزنطيين، حقيقة أن البطريرك البيزنطي وكثيرًا من رؤساء الأساقفة البيزنطيين تركوا مراكزهم وكراسيهم وقت الغزو اللاتيني، ولكن بقى الأساقفة وعدد كبير من صغار رجال الدين البيزنطيين ممن لم يتركوا مناصبهم.

فأوصى البابا أنوسنت بالاعتدال في معاملتهم، وبملاطفتهم، والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وعدم ترسيم الأساقفة الموجودين من جديد، وألا يطلب منهم سوي قسم الطاعة.

كما أصدر البابا أنوسنت الثالث أوامره بالاحتفاظ بالممتلكات الدينية مع عدم طرد الأساقفة والرهبان البيزنطيين الذين يعترفون بسيادة الكرسي البابوي في روما، وأن لا يحل رهبان علمانيين محل الرهبان المحليين البيزنطيين، إلا في حالة عدم وجود بيزنطيين أو لاتين من رجال الدين.

وأدرك البابا أنوسنت كذلك خطورة وضع كهنة من اللاتين وسط شعب بيزنطي أرثوذكسي، لهذا سمح البابا بأن يعين في الأبروشيات ـ التي يغلب عليها العنصر الأرثوذكسي على غيره ـ أساقفة أرثوذكس، وأن تقام بها الشعائر الأرثوذكسية.[٨٤]

وفي ديسمبر من عام ١٢٠٤م، وصل إلى القسطنطينية المندوبان البابويان الكاردينال بطرس كابوانو Peter Capuano وسوفريد Sofred ، وكان البابا أنوسنت قد أرسلهما إلى فلسطين، غير أنهما عادا بدون إذنه.

لعب الأول وهو كابوانو دورًا لا بأس به في مسألة اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية، ففي الأيام الأخيرة من عام ١٢٠٤م، استدعي الكاردينال كابوانو رجال الدين البيزنطيين من أساقفة ورهبان وكبار العلمانيين البيزنطيين، وذلك من أجل المحاورة والنقاش في كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية، وطلب منهم الاعتراف بسيادة البابا الدينية وسموه الروحي، فأجابوه بلسان حنا ميساريتيس[٨٥] Jean Mesarites بأن لهم بطريركهم الذي يخضعون له، ولن

يعترفوا بسواه كرئيس لهم، فغضب الكاردينال كابوانو منهم وهددهم، ففضل البيزنطيين الانسحاب على الاستمرار في النقاش.(٨٦)

ويبدو أن الكاردينال كابوانو لم يرغب في الاستمرار في العمل لتحقيق مشروع توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، كما أنه لم يكن لديه تفويض لعمل ذلك، إذ ما لبث البابا أنوسنت الثالث أن كتب لكابوانو يلومه على تركه فلسطين ومجيئه إلى القسطنطينية، وطلب منه أن يهتم بالشئون الدينية في الإمبراطورية اللاتينية حتي يصل إليها المندوب البابوي الجديد.(٨٧)

وقد تنبه الإمبراطور اللاتيني بلدوين فلاندرز (١٢٠٤-١٢٠٥م) إلى أن الكاردينال كابوانو غير قادر على تحسين العلاقات بين البيزنطيين واللاتين، فطلب من البابا أنوسنت الثالث إرسال مندوب بابوي للبت في المسائل المعلقة، وطلب منه كذلك أن يعقد مجمعًا كنسيًا مسكونيًا لمناقشة اتحاد الكنيستين الشرقية والغربية.(٨٨)

وفي ١٥ مايو ١٢٠٥م كتب أنوسنت الثالث للإمبراطور بلدوين فلاندرز، أنه عهد بهذه المهمة إلى شخص آخر هو الكاردينال بينوا سانت سوزان Benoit St. Suzanne الذي رحل من بويل Poui – Lle في طريقه إلى القسطنطينية.(٨٩)

كان المندوب البابوي الجديد الكاردينال بينوا سانت سوزان له طبيعة تختلف كل الاختلاف عن طبيعة زميله بطرس كابوانو، فهو يتسم باللباقة وحسن الذوق وبالعدل، ذا تفكير حكيم عاقل وله روح المستشار الحكيم، وكان خير رجل يقوم بمهمة تحقيق مشروع توحيد الكنيستين الشرقية والغربية.

فقد تزود في روما من كتب علم اللاهوت الشرقي، واصطحب معه كترجمان رجلا أهلا للثقة وهو نيكولاس دوترانت Nicolas d'Otrante الذي كان متخصصًا في الطقوس الشرقية والذي أظهر مثل مواطنيه في جنوب إيطاليا أنه مقتنع بالاتحاد مع روما.(٩٠)

لم يذهب الكاردينال بينوا سانت سوزان إلى القسطنطينية مباشرة، ولكنه توقف في الطريق في أثينا وسالونيك، وتشاور هناك مع مطران أثينا ميخائيل خونياتس Michael Choniates وغيره من الأساقفة البيزنطيين حول بعض المسائل المذهبية المتنازع عليها.

غير أن نتيجة المفاوضات لم تكن في الحسبان فقد أظهر مطران أثينا ميخائيل خونياتس أنه يفضل أن يترك المركز الذي يشغله منذ أكثر من ثلاثين عامًا، وأن يعيش في المنفي على أن يخضع لروما وكنيستها.

وعلى ما يبدو أنه لم يوجد من يقدم الطاعة والخضوع لروما سوى ثيودور أسقف نيجروبونت Negroponte الذي ظل رغم ذلك على وفاق مع مطرانه السابق ميخائيل خونياتس.[٩١]

وقبل وصول المندوب البابوي بينوا سانت سوزان إلى القسطنطينية أجريت مباحثات ومناقشات في القسطنطينية في الأسابيع التي اعقبت تتويج الإمبراطور هنري فلاندرز Henri of Flanders (١٢٠٦ – ١٢١٦م) عام ١٢٠٦م، لمحاولة كسب رجال الدين البيزنطيين، فقد حدث عندما قام البطريرك اللاتيني موروسيني بترسيم الإمبراطور هنري أن نقل أيقونة السيدة العذراء[٩٢] إلى كنيسة القديسة صوفيا.

وكان البيزنطيون يحترمون هذه الأيقونة، ويوقرونها بصفة خاصة، ومن ثم أتوا يوم الثلاثاء الذي أعقب التتويج أفواجًا مثلما تعودوا في هذا اليوم من كل أسبوع ليؤدوا لها طقوسهم وشعائرهم الدينية.

ولكن بطريرك القسطنطينية اللاتيني توماس موروسيني لم يشأ أن يجعل القداس ذا صفة شرعية إلا إذا ذكر رجال الدين البيزنطيون اسمه في طقوسهم الدينية كعلامة على الطاعة له والاعتراف به كبطريرك للقسطنطينية، وعندما رفضوا قام بمنع كل قداس بيزنطي يقام في القسطنطينية، وأرسل موروسيني رجاله إلى جميع الكنائس من أجل إجبار البيزنطيين على احترام ما أمر بمنعه وتحريمه.

واقتحم رجاله كنيسة القديس نيكولاس المجاورة لكنيسة القديسة صوفيا لمنع القداس، فاستوقفتهم شخصية لاتينية ذات مركز سامي، غالبًا ما كانت تؤدي الصلاة هناك، هي شخصية البودستا [٩٣] البندقي مارينو زينو Marino Zeno (١٢٠٥ ـ ١٢٠٧م) الذي صرح لهم بأن هذا العمل بعيد كل البعد عن تعاليم المسيحية، وأنه لا يوجد مسيحي لديه الرغبة في الامتناع عن عرف آبائه وعاداتهم ليلزم بإتباع عادات أخري، وأنه يجب التصرف باقتناع لكسب رجال الدين البيزنطيين تدريجيًا.[٩٤]

أتي مبعوثو بطريرك القسطنطينية اللاتيني موروسيني لينبهوه بهذا الحادث العارض، الذي أيقظ بطبيعة الحال كراهية البيزنطيين، فاستدعي موروسيني القساوسة البيزنطيين للتفاوض والمداولة، وعقد الاجتماع في ٣٠ أغسطس عام ١٢٠٦م في قصر البطريرك وحضره إلى جانب البطريرك موروسيني البودستا البندقي مارينو زينو، وعدد من الشخصيات الهامة في مجلسه، وحضر من الجانب البيزنطي عدد كبير من رجال الدين في القسطنطينية، وعلى رأسهم نيكولاس ميساريتيس، وحنا كوندوثيودورو Jean Condotheodorou شماس كنيسة القديسة صوفيا.[٩٥]

سأل بطريرك القسطنطينية اللاتيني توماس موروسيني البيزنطيين لماذا يرفضون الاعتراف به كبطريرك لهم؟ فعرضوا عليه الأسباب التي تدعوهم إلى ذلك، وكأن من بينها أنه من واجبه أن يُعلم، ويُرشد، ويُنظم، ويُرتب، وانكروا عليه السلطة القضائية لأنه لا يعرف لغتهم،

وفي رأيهم أن كل شعب يجب أن يكون له بطريرك من بني جنسه، وفوق ذلك توجد بينهما اختلافات كبيرة في العقيدة والطقوس، ومن بينها موكب الروح القدس، والخبز غير المختمر، وزواج الأساقفة، وما إلى ذلك.

ثم بذل ميساريتيس جهده من أجل أن يثبت أن القديس بطرس وأسلافه، لم يكن لهم سلطة سوى على كنيسة روما، أما كنائس القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية، التي أسسها أيضًا الرسل والحواريون فقد تمتعت بنفس الحقوق

التي تمتعت بها كنيسة روما، وأن المسيح لم يؤسس سوى كنيسة واحدة عامة، ليست رومانية ولا بيزنطية، ولا أنطاكية ولا سكندرية ولا فلسطينية، وكان من بين الحواريين القديس بطرس الذي كان يمثل الأخ الأكبر وحسب.(٩٦)

ولم تصل هذه المحاورة الأولى إلى أية نتيجة مباشرة إذ ظل كلا الفريقين على موقفه، واعتقد كلاهما بصحة عقائده وحقيقة آرائه وسمو تفكيره أيضًا، فتفاخر البيزنطيون بثقافتهم وبتقاليد الكنائس الشرقية القديمة، وتباهي اللاتين بقوتهم في تعليم اللاهوت في مدارسهم المشهورة.

حث هذا اللقاء الأول ـ الذي قرب بعض الشيء بين رجال الدين البيزنطيين واللاتين ـ المندوب البابوي الكاردينال بينوا سانت سوزان على إقامة مناقشات ومداولات جديدة، تمت بالفعل في ٢٩ سبتمبر، وفي ٢ أكتوبر عام ١٢٠٦م.

وكانت هذه المناقشات ميسرة وسهلة، نظرًا لوجود نيكولاس دوترانت Nicolas d’ Otrante قس كاسول، ترجمان المندوب البابوي، الذي كان مناصرًا لوحدة الكنيستين الشرقية والغربية، واجتهد بدوره كوسيط لتسهيل الأمور.(٩٧)

رغم ذلك، لم تؤد هذه المناقشات إلى نتائج عملية، فقد ظل تقديم الطاعة للبابا أنوسنت الثالث بصفة عامة وللبطريرك اللاتيني موروسيني بصفة خاصة حجر عثرة، فلم يرغب البيزنطيون في الاعتراف بهذا الأسقف الأجنبي كزعيمهم الديني، وهو المنشق الخارج، صاحب الشخصية المتكبرة التي أثارت كراهيتهم، وهو الذي كانت النزاعات والصراعات مع مواطنيه معروفة لهم، وهو الذي لم يعين وفقًا لقوانين كنيسة القسطنطينية بصفة خاصة، كما أعرب البيزنطيون عن رغبتهم في أن يكون لهم بطريرك من بني جنسهم، يتحدث بلغتهم ويستطيعون التفاهم معه والتحدث إليه دون وسيط وبلا ترجمان، وهم الذين يعينوه وفق إرادتهم.(٩٨)

توفي البطريرك البيزنطي في صيف عام ١٢٠٦م، وكانت رغبة

البيزنطيين في إحلال بطريرك آخر محله، فرصة لمحاولة جديدة للتقارب، فطلبوا من الإمبراطور اللاتيني هنري فلاندرز (١٢٠٦ ـ ١٢١٦م) السماح لهم بانتخاب بطريرك جديد، ووضع لهم الإمبراطور كشرط لذلك الاعتراف بأسبقية البابا أنوسنت الثالث.

وتوجه البيزنطيون ـ بناء على نصيحته ـ مباشرة إلى البابا أنوسنت الثالث، وطلبوا منه الإذن باختيار بطريرك لهم من نفس العقيدة، يتكلم لغتهم ويتلقى اعترافاتهم، كما طلبوا منه إرسال ممثلين له من أجل أن يقوموا بتسوية المسائل الدينية موضع النزاع مع البطريرك الجديد، وتوسلوا إلى البابا أنوسنت أن يعقد مجمعًا مسكونيًا في القسطنطينية حيث يأتي ممثلوه ونوابه من أجل حل المسائل موضع الخلاف، وتحقيق وحدة الكنيستين الشرقية والغربية.[٩٩]

ويبدو أن مناشدة رجال الدين البيزنطيين والتماسهم للبابا أنوسنت الثالث قد ذهبت أدراج الرياح، فلم تذكر المصادر شيئًا عما إذا كان البابا أنوسنت قد أجاب البيزنطيين على طلبهم أم لا.[١٠٠]

وهكذا باءت المحاولات الثلاث التي دارت بين البيزنطيين واللاتين في شهور أغسطس وسبتمبر وأكتوبر من عام ١٢٠٦م بالفشل، فضلاً عن أنها أدت إلى نتائج سياسية خطيرة، فكان من الطبيعي بعد خيبة أمل رجال الدين البيزنطيين في الحصول على أذن باختيار بطريرك من بني جنسهم، أن يتحولوا نحو إخوانهم البيزنطيين المتجمعين حول ثيودور لاسكاريس Theodore Lascaris (١٢٠٤ ـ ١٢٢٢م) في نيقية، والذي تزعم حركة مقاومة اللاتين هناك، وقد رحب بهم ثيودور لاسكاريس، وسمح لهم برضي وعن طواعية بانتخاب بطريرك بيزنطي جديد.

وكان أن تقرر تعيين ميخائيل الرابع أوتوريانوس Michel IV Autorianos[١٠١] كبطريرك لإمبراطورية نيقية، ثم قام هذا البطريرك اليوناني بتتويج ثيودور لاسكاريس امبراطورًا.[١٠٢]

وبذلك أصبح للبيزنطيين امبراطورًا وبطريركًا معينين من قبلهم وبمحض إرادتهم، وأدي ذلك إلى تعميق الهوة بينهم وبين اللاتين، وازدياد حركة مقاومتهم للاتين في القسطنطينية، وغدت الأرثوذكسية عندهم مرادفة للقومية.(١٠٣)

لم تطل بعثة الكاردينال بينوا سانت سوزان أكثر من نهاية عام ١٢٠٧م، وفي مارس من العام التالي كتب البابا أنوسنت الثالث إلى إمبراطور نيقية ثيودور لاسكاريس يحثه على عقد السلام مع الإمبراطور اللاتيني هنري فلاندرز قائلاً له أنه عزم على أن يرسل مندوبًا بابويًا جديدًا إلى القسطنطينية، يعهد إليه بترتيب هذا العمل.

ولم يضع البابا ذلك الأمر موضع التنفيذ، لأنه لا توجد إشارة إلى إرسال مندوب بابوي قبل عام ١٢١٣م.(١٠٤)

كتب البابا أنوسنت الثالث للإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية هنري فلاندرز يخبره بإرسال مندوب بابوي جديد، وهو الكاردينال بلاجيوس ألبانو Pelage d'Albano (١٠٥)، ويطلب منه أن يستقبله بكل مظاهر التكريم والحفاوة الواجبة كممثل للكرسي البابوي، ويطلب منه أيضًا أن يتبع نصائحه.

وفي نفس الوقت أعلن البابا أنوسنت الثالث قرار إرسال المندوب البابوي بلاجيوس إلى القسطنطينية لجميع رؤساء الأساقفة والأساقفة، والقسس في الإمبراطورية، وانتهز هذه الفرصة ليعبر عن شعوره نحو الكنيسة البيزنطية، وأشار إلى أنها سيدة العقيدة، ولكنها أخطأت وخرجت عن حظيرة السيد المسيح على أن الله أخذها برحمته، وأعادها إلى كرسي القديس بطرس وإلى الاتحاد مع كنيسة روما.

وأنه أرسل المندوب البابوي بلاجيوس أسقف البانو لعمل التغيرات اللازمة، ولتسوية الأمور المعلقة، ولهذا يجب على الأساقفة والأحبار أن يستقبلوه كما لو كان البابا نفسه.(١٠٦)

أخذ المندوب البابوي بلاجيوس طريقه إلى القسطنطينية، واصطحب معه

نيكولاس أوترانت نفس الترجمان الذي سبق أن اصطحبه سلفه الكاردينال بينوا سانت سوزان، وكان وجود بلاجيوس في القسطنطينية ضروريًا في ذلك الوقت، خاصة وأن كرسي البطريركية اللاتينية كان شاغرًا منذ وفاة موروسيني عام ١٢١١م، وحالت المنافسات دون تعيين صاحب الحق في هذا المنصب.(١٠٧)

على أن اختيار بلاجيوس كوسيط للتفاوض مع البيزنطيين كان اختيار غير موفق، فلم يتوافر لبلاجيوس الاعتدال، أو التسامح اللذين كانا لدي سلفه الكاردينال بينوا سانت سوزان، والذين جعلا منه معبرًا عن احاسيس البابا أنوسنت الثالث ومشاعره.

كان بلاجيوس متعاليًا، متسلطًا، صلب الرأي، غير متسامح، وكان في نظر البيزنطيين عنيفًا قاسيًا متصلفًا، هذا فضلاً عن إفراطه في إبراز فخامة وعظمة الإمبراطورية، مما أثار اشمئزاز البيزنطيين عند لقائهم الأول به.(١٠٨)

وظهر عنف بلاجيوس وصلابة رأيه وعدم تسامحه فور وصوله إلى القسطنطينية، فلم يشأ أن ينتظر وقتًا طويلاً لجعل الوحدة الكنسية أمرًا ممكنًا، بل استخدم أساليب الإكراه، وأراد أن يرغم البيزنطيين بالقوة على الاعتراف بسيادة كنيسة روما، فأغلق الكنائس، ونفي الرهبان، وحبس الأساقفة.

تعارضت هذه الاجراءات مع السياسة العاقلة الحكيمة التي اتبعها الإمبراطور اللاتيني هنري فلاندرز وعرضتها للخطر.

وذهب جماعة من رجال الطبقة العليا البيزنطيين إلى الإمبراطور اللاتيني هنري فلاندرز، وعبروا له عن فزعهم وخوفهم على عقيدتهم، فما كان منه إلا أن توسط بينهم وبين المندوب البابوي بلاجيوس، واتفق معهم على التسوية التي اعتقد أنها ترضي الجميع.

فاعترف البيزنطيون بسلطة البابا أنوسنت الثالث، وإن كان اعترافًا شكليًا فحسب، وقبل الحصول على هذا الاعتراف من جانب رجال الدين البيزنطيين في القسطنطينية، كان الإمبراطور اللاتيني هنري فلاندرز، قد أطلق سراح

جميع الأسري والمسجونين، وأعاد فتح الكنائس.[١٠٩]

على أن الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية لم يخط خطوة واحدة عن ذي قبل، ولكن على الأقل ساد الهدوء العام، وهي النتيجة التي اكتفي بها الإمبراطور هنري فلاندرز.

هذا في حين أن المندوب البابوي بلاجيوس اعتبر أن هذا الخضوع الظاهري من جانب رجال الدين البيزنطيين كافيًا في نظر الكنيسة اللاتينية.[١١٠]

على أن عددًا من الأساقفة والرهبان البيزنطيين خشوا من الظلم والتعسف الذي أظهره المندوب البابوي بلاجيوس، فاتجهوا نحو نيقية حيث استقبلهم هناك الإمبراطور البيزنطي ثيودور لاسكارس والبطريرك البيزنطي ميخائيل أتوريانوس، وبعد وصولهم إلى نيقية بوقت قصير، أتي رسل من قبل المندوب البابوي بلاجيوس بغرض التفاوض، واستقبل ثيودور لاسكاريس إمبراطور نيقية رسل المندوب البابوي بلاجيوس، وتفاوض معهم لمدة يومين، عاد الرسل بعدها إلى القسطنطينية في أكتوبر عام ١٢١٤م.

وأرسل إمبراطور نيقية البيزنطي ثيودور لاسكاريس ـ الذي لم يكن معاديًا للتقارب الديني للوهلة الأولي والذي أظهر الدليل على الفكر المتفتح المتسع ـ سفارة إلى القسطنطينية لمتابعة المفاوضات، وكان على رأس وفده نيكولاس ميساريتيس الذي شارك ـ قبل ذلك ـ في الجدل والحوار الذي تم في شهر أغسطس عام ١٢٠٦م، والذي أصبح مطران لمدينة أفسوس.[١١١]

أبحر نيكولاس ميساريتيس إلى القسطنطينية حيث استقبله هناك عدد كبير من رجال الدين اللاتين ومن الأساقفة البيزنطيين، وكان من بينهم نيكولاس أوترانت ترجمان الكاردينال بينوا سانت سوزان، الذي صحبه للمندوب البابوي بلاجيوس الذي كان في انتظاره، والذي استقبله بكرم واهتمام زائدين.[١١٢]

تمت المفاوضات الأولي بين ممثل البيزنطيين نيكولاس ميساريتيس وبين المندوب البابوي بلاجيوس في كنيسة القديسة صوفيا، وبعد أن تم التقديم الرسمي أبدي ميساريتيس دهشته من أن بلاجيوس أسقف ألبانو ـ تلك المدينة الصغيرة في أسبانيا ـ لم يأت أمامه ليحييه، وهو أسقف على سائر آسيا، وصاحب مكانة ولقب في الكرسي الرسولي.

وعندئذٍ أظهر المندوب البابوي بلاجيوس قدمه اليمني التي كان بها حذاء أحمر اللون، وصرح بأن هذا الشعار الإمبراطوري قد أعطي لممثلي روما حق السبق على جميع أصحاب المناصب الدينية الرفيعة.

فما كان من نيكولاس ميساريتيس إلا أن رفع ثوبه حتي ركبتيه، وأشار أيضًا إلى حذائه الذي كان رماديًا من الخارج؛ ليليق بخدام المسيح الحقيقيين، وكان أحمرًا من الداخل كدليل على منصبه الشرفي، وعلى أنه أيضًا يمثل الإمبراطور (يقصد ثيودور لاسكاريس إمبراطور نيقية البيزنطى).

ولهذا هددت المفاوضات بالخطر، إذ أن ميساريتيس تجاوز الهدف من بعثته إلى الدفاع عن المنفيين والمطرودين من رجال الدين، وأكال المديح والثناء على إمبراطور نيقية البيزنطى ثيودور لاسكاريس وسلطانه ومقدرته.

فرد عليه المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس بأن ثيودور لاسكاريس إذا لم يكن قد ظهر كابن مخلص لكنيسة روما، لما استطاع الرهبان أن يعودوا إلى أديرتهم، ولما قام البيزنطيون بطقوسهم في حرية وفقًا لشعائرهم الدينية.(١١٣)

وفي ٢٢ فبراير من عام ١٢١٤م دارت المناقشات من جديد، وكانت هذه المرة حول مسألة الخبز غير المختمر (وهو ما يعرف بالقداس بعد الصلاة عليه)، وهنا أظهر نيكولاس ميساريتيس فصاحته ودقته اللذين كانا لهما تأثيرًا جيدًا على اللاتين.

وفي ٢٥ نوفمبر من نفس العام انتهت مهمة ميساريتيس، فاستأذن المندوب البابوي بلاجيوس من أجل العودة إلى إمبراطور نيقية ثيودور

لاسكاريس، فأرسل بلاجيوس معه شخصين هما نيكولاس أوترانت الترجمان، وأسقف أسباني ذاعت شهرته القضائية، وذلك من أجل أن ينقلا للإمبراطور ثيودور لاسكاريس رد المندوب البابوي بلاجيوس على سفارته.(١١٤)

عبر نيكولاس ميساريتيس ورسل المندوب البابوي بلاجيوس البسفور، وأخذوا طريقهم إلى نيقية، غير أنهم وجدوا الإمبراطور ثيودور لاسكاريس في هراقليا بونت Heracleo de Pont ـ الواقعة على ساحل البحر الأسود ـ واستقبل ثيودور لاسكاريس رسل المندوب البابوي بلاجيوس بالحفاوة والتكريم، وفي حضوره نوقش من جديد موقف الكنيسة والسمو البابوي.

ورغم أن روح الاعتدال ظهرت من جانب كل من البيزنطيين واللاتين، إلا أنه لم يتم التوصل إلى نتيجة، وفي النهاية انسحب الرسولان اللاتينيان، وعادا إلى القسطنطينية محملين بهدايا إمبراطور نيقية ثيودور لاسكاريس.(١١٥)

وعلى الرغم من الرغبة الصادقة لقيام الوفاق من كلا الجانبين البيزنطى واللاتيني، فقد ظهر من خلال المفاوضات التي بدأت منذ عام ١٢١٣م أن إتحاد الكنيستين الشرقية والغربية غير ممكن.

ويرجع السبب في ذلك أولاً إلى صلف المندوب البابوي بلاجيوس، وضغطه على رجال الدين الأرثوذكس في القسطنطينية، وتشبثه بوجوب الاعتراف بسلطة البابا أنوسنت الثالث، مما حال دون الوصول إلى التفاهم بين الكنيستين، ودخلت المناقشات بينهما في بحر من الفقه الدينى وعلم اللاهوت، مما قطع الأمل في الإتفاق.

يضاف إلى ذلك حساسية البيزنطيين في نيقية لكرامتهم على نحو يتفق مع وضعهم كورثة بيزنطة، فقد كدرهم أن يرفض البابا أنوسنت الثالث مخاطبة ثيودور لاسكاريس على أنه إمبراطور، كما أن مندوبه بلاجيوس الذي لم يزد عن كونه أسقفًا كان يعتبر نفسه أعظم من ميساريتيس مطران أفسوس، بل إنه كان يشير إلى البطريرك في نيقية على أنه مجرد رئيس أساقفة، على أن خير

ما يمكن قوله أن "البيزنطيين واللاتين افترقوا على صحبه".[١١٦]

وإذا كانت هذه المفاوضات قد فشلت في تحقيق الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية، فإنها نجحت في المجال السياسي، إذ اسفرت عن اتفاق وقع بين الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وبين إمبراطورية نيقية البيزنطية.[١١٧]

ورغم فشل المفاوضات مع المندوب البابوي بلاجيوس، فإن ثيودور لاسكاريس إمبراطور نيقية لم يعدل عن فكرة التقرب من روما والتفاوض من أجل الاتحاد، وكان يهدف من وراء ذلك إلى مجرد التحايل لتجنب هجوم اللاتين على إمبراطوريته حتي يتفرغ لتحقيق حلمه وهو استرداد القسطنطينية.

وربما ظن ثيودور لاسكاريس أن اختفاء البابا أنوسنت الثالث، الذي توفي في عام ١٢١٦م[١١٨] والذي لم يرغب في الاعتراف به كإمبراطور، سيسهل الاتفاق وبدون أن تضحي الكنيسة البيزنطية بأية امتيازات، غير أن ذلك لم يحدث.

ويتضح لنا من هذا العرض أن القضية السياسية حالت دون الوصول إلى حل المشكلة الدينية، وظهر أن وجود اللاتين في القسطنطينية لم يساهم في القضاء على الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية بل أقام عقبة في سبيل اتحادهما.

الخاتمة

من خلال دراسة موضوع علاقة البابا أنوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤ ـ ١٢١٦م) يمكن استخلاص مجموعة من النتائج على النحو التالى:

- أرجع بعض المؤرخين مسئولية انحراف الحملة الصليبية الرابعة تجاه القسطنطينية إلى البابا أنوسنت الثالث بدافع أساسي هو العداء القديم بين

الكنيستين الشرقية والغربية، ورغبة البابا أنوسنت في إخضاع كنيسة القسطنطينية للسيادة البابوية، والانتقام من البيزنطيين الذين عرقلوا مرور القوات الصليبية، وسببوا لها المتاعب منذ قيام الحروب الصليبية، وقد رأى هؤلاء المؤرخين أن قرارا البابا أنوسنت الثالث بالعفو عن الصليبيين بعد استيلائهم على مدينة زارا المسيحية كان يعني تشجيعهم على المضي في الهجوم على أي بلد مسيحي آخر حتي ولو كان القسطنطينية ذاتها.

واتضح من خلال البحث أن البابا أنوسنت لم يكن له دور مباشر في توجيه الحملة ضد القسطنطينية، وحين علم بنية الصليبيين على التوجه ضدها، حذرهم صراحة وبحزم من الإقدام على هذا العمل وهددهم بتوقيع قرار الحرمان عليهم من جديد إذا هم لم يمتثلوا لأوامره الخاصة بعدم مهاجمة الدولة البيزنطية، وأصر على ضرورة توجه الحملة لمصر مباشرة، ولكن تدهور أحوال بيزنطة في ذلك الوقت، وما آلت إليه من ضعف وتمزق في شتي المجالات، كل ذلك ساهد على تحويل مسار الحملة الصليبية الرابعة نحو القسطنطينية، فمع تسليمنا التام بكل ما ذكره المؤرخين عن دوافع البابا أنوسنت الثالث والبنادقة وفيليب السوابي والصليبيين عامة، وأطماع كل هؤلاء في الدولة البيزنطية، إلا أن الأحداث الداخلية التي مر بها البيزنطيون، ثم التجائهم للغرب الأوربي والاستعانة به في حل مشاكلهم، هي التي فجرت كل هذه الدوافع، وجعلتها تعبر عن نفسها تعبيرًا عمليًا واسع النطاق.

- من خلال هذا البحث يتضح لنا تحول موقف البابا أنوسنت الثالث إلى مساند ومؤيد قوي للإمبراطورية اللاتينية، فقد اعتبر إمبراطورها فصلاً وتابعًا للبابا، كما أولاها كثير من الاهتمام، وأمدها بالمال والرجال، وحال بين البنادقة وبين محاولة بسط سيطرتهم عليها.

والحقيقة أن البابا أنوسنت الثالث كان يأمل ويتطلع إلى أن يتخذ من الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية أداه لتحقيق ما كان يصبو إليه من آمال تتمثل في تحقيق هدفين أساسيين:

أولهما: استرداد الأراضي المقدسة في فلسطين، فقد علق البابا أهمية كبيرة على فتح القسطنطينية بالنسبة لمستقبل بيت المقدس، واعتقد أن القسطنطينية ستصبح بعد فتحها مركزًا لتنظيم الحرب الصليبية، وقاعدة لتقديم المساعدات الضرورية للصليبيين في الشرق.

وثانيهما: أن البابا علق أهمية كبيرة على فتح القسطنطينية فيما يتعلق بعودة الكنيسة الشرقية إلى طاعة كنيسة روما، وإعادة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية، ولكن فشل البابا في تحقيق كلا الهدفين فشلاً ذريعًا، فمن ناحية لم يتابع اللاتين زحفهم نحو مصر بعد استقرارهم في القسطنطينية، ومن ناحية أخري كان الفشل حليف جميع المحاولات التي بذلها البابا أنوسنت لتحقيق الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية.

- مما لا شك فيه أن تأسيس الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية أدي إلى اتساع النفوذ الروحي والدنيوي لكنيسة روما، فإذا كان البطريرك البيزنطي قد لجأ إلى نيقية ورفض أن يتعاطف مع اللاتين في القسطنطينية، فقد وجد في القسطنطينية بطريركًا لاتينيًا يخضع للبابا.
- حاول البابا أنوسنت الثالث بعد أن أصبح اللاتين سادة القسطنطينية أن يحقق الهدف الرئيسي الذي كانت تسعى إليه البابوية، وهو توحيد الكنيستين الشرقية والغربية، وقد استخدم البابا أنوسنت كل ما لديه من حيل ومهارة سياسية من أجل أن يكسب رجال الدين البيزنطيين، فأوصى بالاعتدال في معاملتهم والسماح لهم بممارسة شعائرهم الدينية، كما أصدر البابا أنوسنت أوامره بالاحتفاظ بالممتلكات الدينية مع عدم طرد الأساقفة والرهبان البيزنطيين الذين يعترفون بسيادة الكرسي البابوي في روما.

وأدرك البابا أنوسنت الثالث كذلك خطورة وضع كهنة من اللاتين وسط شعب بيزنطي أرثوذكسي، لهذا سمح البابا بأن يعين في الأبروشيات ـ التي يغلب عليها العنصر الأرثوذكسي على غيره ـ أساقفة أرثوذكس، وأن تقام بها الشعائر الأرثوذكسية.

- حاول البنادقة بسط نفوذهم على البطريركية اللاتينية في القسطنطينية بشتي الطرق، غير أن البابا أنوسنت الثالث كان لهم بالمرصاد، ونجح إلى حد كبير في الحد من ذلك النفوذ، وذك عن طريق الاحتفاظ بحق التعيين الفعلي لبطريرك القسطنطينية مع بعض التنازلات المحدودة للبنادقة، حتي يضمن مساندتهم للمشروعات البابوية الأخرى.
- إذا كانت المفاوضات التي قام بها مندوبي البابا أنوسنت الثالث مع رجال الدين البيزنطيين قد فشلت في تحقيق الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية، لتمسك كلا الطرفين بعقيدته، فإنها نجحت في المجال السياسي، إذ أسفرت عن اتفاق وقع بين الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وبين إمبراطورية نيقية البيزنطية.

ولكن القضية السياسية حالت دون الوصول غلى حل للمشكلة الدينية، وظهر أن وجود اللاتين في القسطنطينية لم يساهم في القضاء على الخلاف بين الكنيستين الشرقية والغربية بل أقام عقبة في سبيل اتحادهما.

الهوامش:

(١) هو لوثر أوف سيجني Lothar of Segni الذي عرف باسم البابا أنوسنت الثالث Innoccent III (١١٩٨ ـ ١٢١٦م)، وهي ينتمي إلى عائلة رومانية عريقة هي عائلة Conti سادة مقاطعة سيجني ، ولد سنة ١١٦٠م، وتلقي تعليمه في باريس، حيث درس المنطق والقانون الكنسي، وتدرب في أعمال البلاط البابوي، وكان مؤمنًا بالسيادة البابوية، وتدرج في المناصب الكنسية، فأصبح كاردينالاً عام ١١٩٠م، وانتخب لمنصب البابوية عام ١١٩٨م، وهو واحد من ألمع البابوات الذين تولوا هذا المنصب في العصور الوسطي، ولمزيد من التفاصيل انظر:

Tout : The Empire and The Papacy 418 – 1273, Eighth Edition, London, 1924, p.314.

Cross : The Oxford Dictionary of the Church Oxford University press, Second Edition, Oxford 1974, pp.703- 704, Jacob (E): Innocent III , in C.M.H., ed. Hussey, London 1975, vol.VI ,pp.1-6, Barrachough (g.) : The Medieval Papacy, London 1975,pp.112-114, Painter : A History of the Middle Ages, p.283.

كولتون: عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٨٣م، ص ص ٦١ – ٦٢. هارتمان ، و.ج، باركلاف : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطي، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٨٤م، ص ٢٨ ، ٥٢. كين (موريس) : حضارة أوربا في العصور الوسطي، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٩٢م، ص١٤٦. جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطي الأوربية وحضارتها، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص١٨٩. سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطي، ج٢، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٩–١٠. فشر: تاريخ أوربا العصور الوسطي، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، ج١، القاهرة ١٩٦٩م، ص٢٣١ – ٢٣٣.

(2)Luchaire : Innocent III et Question d ’orient, p.15.

(٣)كان إيمار Aymar رئيسًا لأساقفة قيسارية، ثم تولي بطريركية بيت المقدس بعد وفاة البطريرك رادولف سنة ١١٩٤م.

Eracles : L’Estoire de EraclesEmpercur et Le conquette de la Terre d’outremer CF, R.H.C.Hist. occ, T.2., Paris 1859, pp.203 – 205.

(4) Michaud , E. : Histoire des croisades, Paris 1970, vol.3,pp.90-91.

(٥) بونيفيس أوف مونتفرات قائد الحملة الصليبية الرابعة كان قريبًا لفيليب السوابي ملك ألمانيا، فقد كان وليم أوف مونتفرات والد بونيفيس متزوجًا من صوفيا Sophia ابنة فريدريك بربروسا، وهي أخت (غير شقيقة) لفيليب السوابي، وقد ساهمت عائلة مونتفرات بنصيب كبير في الحروب الصليبية، فقد كان لوليم أربعة أبناء تركوا بصماتهم على تاريخ الحروب الصليبية، وهم وليم ، كونراد، رينيه، وأصغرهم بونيفيس الذي ساهم في الحروب الصليبية، ووقع أسيرًا في يد صلاح الدين، وأطلق سراحه أثناء تبادل الأسري، وعرف عن بونيفيس دماثة الأخلاق والشجاعة في القتال، وكان بلاطه في مونتفرات مزدحمًا بالفنانين شعراء التروبادور.

Villehardoin (G.): La conqueste de Constantinople par les Barons Francais assoclez aux venitians l' an 1204 English, Translation by Sir Marzials, London 1965, pp.10-11.

رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت ١٩٦٧م، ج٣، ص٢٠٢.

(6) Setton,M.K.: A History of the Crusades, London 1962, vol.2, pp.158 – 159.

(7) Grousset: Histoire des Croisades, Paris 1934, vol.3,p.171.

(8) Brehier: L'Eglise et L 'orient au moyen age, Les Croisades , Paris 1907, p.151.

(٩) أنريكو داندولو Enerico Dandolo دوق البندقية الذي كان من أشهر الرجال في عصره، وكان رجلاً مسنًا تخطي الستين من عمره، ولكنه كان مليء بالنشاط والحيوية، طموح إلى المجد، كرس نفسه من اجل العمل لمصلحة جمهوريته، ويقال أنه رغم فقدانه لبصره إلا إنه كان بإمكانه أن يقود جيشا كبيرًا بنفس الكفاءة التي يقود بها اسطولاً ضخمًا، وقد توفي داندولو في شهر مايو عام ١٢٠٥م، ودفن في احتفال مهيب في كنيسة آيا صوفيا. انظر:

Gibbon , (E.) : The Decline and Fall of the Roman Empire, New York 1976, vol. 6, pp.149 -150.

(١٠) زارا تقع على ساحل دالماشيا المقابل للإدرياتيك ، وكانت من المراكز الحيوية والاقتصادية الهامة بالنسبة للبندقية، وقد استولت عليها المجر عام ١١٨٦م، وحاول البنادقة عبثًا استعادتها منذ هذا التاريخ. انظر: عبد القادر أحمد يوسف: الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٦٦م، ص١٥٢.

(11) Vasilev : Hisory of the Byzantnie Empire, vol.II,p.454.

(١٢) روبرت كلاري: فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٤م، ص٤٥-٤٦.
Chronique de Moree,pp.9-10.

(١٣) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص١١٤-١١٥.

(14) Brehier: op.cit, pp.156 – 157.

(١٥) التجأ الأمير البيزنطي ألكسيوس بن إسحق إنجيلوس إلى صهره فيليب السوابي إمبراطور ألمانيا، طالبًا عونه ومساعدته في استرداد عرش أبيه المغتصب، فما كان من فيليب السوابي إلا أن أرسل وفدًا من لدنه إلى الصليبيين في زارا، يدعوهم للإبحار إلى بيزنطة لمساعدة ألكسيوس في استرجاع عرش أبيه، وعرض الوفد لقاء ذلك بأن يتعهد لهم ألكسيوس بوضع الإمبراطورية البيزنطية برمتها تحت سيادة كنيسة روما، وبأن يدفع لهم مبلغ مائتي ألف مارك من الفضة، وبأن يمد قوات الحملة بالمؤن اللازمة لمدة عام، وأن يرافق الصليبيين إلى بابليون (القاهرة) بنفسه ومعه عشرة آلاف جندي، بل ويجهز فرقة مكونة من خمسمائة فارس للعمل كحرس دائم في الأراضي المقدسة. روبرت كلاري: فتح القسطنطينية، ص٦٧.

جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم وآخرون، القاهرة ١٩٩٧م، ج٣، ص٢٢٣.

Villehardouin: op. cit,p.53.

(١٦) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٣٥.

(17)Setton: op. cit,vol.II,pp.170-171.

(١٨) رنسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص١١٣.

Wiet: L'Egypte Arabe, p.343.

(19)Vasiliev: op.cit,vol. 2, p.458, Brehier: Vie et Mort de Byzance,p.366.

(٢٠) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٣٥-٧٣٦.

Cam.: Med. Hist., vol. 5, p.329.

(21) Ostrogorsky: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Oxford 1956,pp.368-369.

(٢٢) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص١١٥-١١٦.

(23)Vasiliev: op.cit,vol. II, p.455.

إسحاق عبيد: روما وبيزنطة، القاهرة ١٩٧٠م، ص٣٠٤- ٣٥٢.

(24) Hopf: Geschichte griechenlands von Beginn des mittelalterslisunserezeit in Erschigruber, Encyclo - pedia , vols.85-86, (1867-68),p.188, Mass Latrie:

Histoire de l'ile de Chypre Sous Le regne des princes de La maison de lusignan, paris 1852-61, vol.1,pp.161-164, Pears : The Fall of Constantinople Being The Story of The fourth crusade, New York 1975, pp.263-264.

(25) Innocentii III: Epistolae in Patrologia Latina, ed Paris 1855, vol.CCXIV,cols. 1123-1124, Coniates: Historia , ed. Bekker, in corpus scriptorium HistorineByzantinae , choniates Bonnae, 1835,pp.710-712.

ولمزيد من التفاصيل عن الآراء الخاصة بمسئولية انحراف الحملة الصليبية الرابعة انظر:

Winkelmann: Philip von schwaben und otto IV ,von Braunschwieg, Leipzig 1873 - 78, vol.I,pp.524-528, Norden (W.): Der vierte Kreuzzug in Rahmen der Beziehungen des Abendlandes zu Byzanz, Berlin 1898, pp.1-47,Luchaire (A.): Innocent III, La Question d' orient, Paris 1907,p.97.

اسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، جدة ١٩٧٨م، ص٩-١٧.

(26) Patrologia Latina, T.214.col.CXXXVIII.,hendrickx: "Recherches ",pp.121-122.

(27) Patrologia Latina, T.215,cols,261-263,Belim: Histoire de la Latinite, de Constantiople, Paris 1894, p.45.

(٢٨) روبرت كلاري: المصدر السابق، ص٤٩-٥٠.

(29) Villehardowin:op.cit,p.55.

(٣٠) روبرت كلاري: المصدر السابق، ص٧٧.

(31) Chronique de more,Publiee par Fation ,p.10.

(٣٢) اسمت غنيم: المرجع السابق، ص٧٣.

(٣٣) عن مبررات البابا ورجال الدين لغزو القسطنطينية انظر: اسحق عبيد: المرجع السابق، ص٣٣٩-٣٤٠.

Ishaq Ebeid: " Was Pape Innocent III an Accomplice in the diversion of the fourth Crusade" in Egyptian Historical Review, vol.15,1969,pp.12-13.

(٣٤) اسمت غنيم: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٣٥) ليلي عبد الجواد: السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ - ١٢٦١م، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٤-٢٥.

(٣٦) اسمت غنيم: المرجع السابق، ص١٠٣-١٠٤.

(37)Cam.Med. Hist.,vol.5,p.411.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٣٦-٧٣٧.

(٣٨) نفس المرجع والجزء، ص٧٣٧-٧٣٨.

وقد تمني نيقتاس خونياتس . وهو شاهد عيان على هذه الأحداث . لو كانت العاصمة البيزنطية سقطت في قبضة المسلمين بدلا من سقوطها في أيدي الصليبيين، وذكر أن المسلمين عندما استولوا على بيت المقدس لم يفعلوا بالمسيحيين والبيوت المسيحية مثلما فعله الصليبيون بأهل القسطنطينية وكنائسها.

Coniates: op.cit,pp.710 -712, Vasiliev: op.cit,vol.2,p.461.

(٣٩) كنيسة القديسة صوفيا أو كنيسة سانت صوفيا (كنيسة الحكمة المقدسة) انشأت تلك الكنيسة أيام الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٦-٣٣٧م) ، ثم أعيد تجديدها عام ٤٠٤م بعد الحريق الذي شب في سقفها، ثم اعاد بنائها الإمبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ . ٥٦٥هـ) عام ٥٣٢م. انظر: رنسيمان: الحضارة البيزنطية، القاهرة ١٩٦١م، ص٣١٧-٣١٨. موسي: ميلاد العصور الوسطي، القاهرة ١٩٦٧م، ص١٥٣-١٥٤.

(٤٠) يقول أبو شامة: "وفي شهور هذه السنة، تغلبت طائفة من الفرنج البحرية يعرفون بالبنادقة على قسطنطينية، واخرجوا الروم منها بعد حصار وقتال، وحازوا ممتلكاتها وانتهبوا ذخائرها، وما حوته كنائسها من آلات ورخام، وحملوه إلى الديار المصرية والشامية فبيع، ووصل منه إلى دمشق رخام كثير، وكان أسامة يعمر داره فحصل منه شيئًا لم يكن قبله مثله، وزخرفها...". ذيل الروضتين، ص٥٢.

(٤١) البطريرك Patriarchos هي كلمة يونانية معناها رئيس الآباء، ويأتي على قمة الهرم الكهنوتي الذي يبدأ بالشماس فالقسيس فالأسقف. انظر: سيد أحمد علي الناصري: الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقتهم بالمشرق العربي، القاهرة ١٩٩٣م، ص٤٧.

(42) Ostrogorsky:op.cit, p.375.

(٤٣) انظر نص خطاب بلدوين للبابا في :

Patrologia Latina, T.215,cols 447-454, Dufournet: Les ecrivaine de la IV ’croisade Villehardouin et clari,T.2 Paris 1973,pp437-440, Longnon: L’ Empire Latin de Constantinople, Paris 1949,p.52.

(44)Michaud: Histoire des CroIsades, Paris 1819-20,vol.3,pp.290 – 291, Brehier: L’Eglise, pp.169-170, Delile (e’d): "Lettresindites d’innocent III,dansBibliotheque de l’Ecole des chartes, vol.39,1873, p.408.

(45) Belin: op.cit,p.52.

(٤٦) المطارنة: جمع مطران، وهو رئيس ديني عند النصاري، وهو دون البطريرك وفوق الأسقف. انظر:ألفريد ج. بتلر: الكنائس القبطية القديمة، ج٢، ص٢٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان، ج٢، ص١١٤٨.

(٤٧) الأسقف: بضم الألف، وسكون السين، وقاف مضمومة ثم فاء مشددة وقد تخفف، مرتبة دينية عند النصاري، وشاغلها من الرؤساء عندهم، وهي أعلى من القسيس، وأدني من المطران والبطريرك، تجمع على أساقفة وأساقف، انظر: المعجم الوسيط، مادة سقف. الموسوعة الميسرة في الأديان، ج٢، ص٩٥٦.

(٤٨) ليلي عبد الجواد: المرجع السابق، ص١١٩.

(49) Patrologia Latina.T.215,cols.454-455.

(50) Fliche, A. : Histoire de L' Eglise, Paris 1950,T.10,p.72,Lomgnon: L' Empire Latin de Constantinople, Paris 1949,p.52,Brehier: L' Eglise,pp.170-171.

(51) Fliche:op.cit,p.71.

(٥٢) وصف أحد شهود العيان من اللاتين وهو روبرت كلاري ما يؤكد رواية البابا أنوسنت الثالث عن نهب اللاتين لثروات القسطنطينية وكنائسها حيث يقول:

"صدر الأمر بجمع كل الغنائم في كنيسة معينة من كنائس المدينة، فجيء بها إليها، وكانت عظيمة جدًا، فكان بها كثير من الأوعية الذهبية والفضية الغالية الثمن، والملابس المطرزة بالذهب وكثير من المجوهرات الثمينة، فكان ما جمع هناك منظرًا رائعًا عجيبًا، ولم يحدث قط . منذ بداية العالم . ان رأت العين أو غنم القوم مثل هذه الغنيمة الضخمة الغالية العظيمة، بل لم يحدث ذلك زمن الاسكندر أو شارلمان ولا قبلهما ولا بعدهما، ولا أظن أنا شخصيًا أنه توفر في أغني المدن الأربعين في العالم من الثروة الهائلة ما توفر بالقسطنطينية، وما عثروا عليه بها ، إذ يقول اليونان (يعني البيزنطيين) إن ثلثي كنوز العالم موجودة في القسطنطينية، أما الثلث الباقي فموزع في بقية الدنيا، حتي أن نفس الأشخاص الذين عهد إليهم بالحراسة اخذوا كل ما طمعوا فيه من الحلي الذهبية، وامتدت أيديهم بالسرقة إلى هذه الثروة وإلى كل ما وجدوه، وأخذ كل رجل غني ما طمع فيه من الحلي الذهبية والأقمشة الحريرية والمذهبة وغيرها، وانطلق بها، وبهذه الطريقة شرع الكبار في سرقة الغنائم حتي لم يبق شيء يتقاسمونه مع عامة الجيش من الحجاج أو

الفرسان أو العسكر الذين عاونوا في كسب هذه الغنائم".

روبرت كلاري: فتح القسطنطينية، ص١٢٢ وما بعدها.

(53) Innocentii III: Epistoae. VIII, p.133.

اسمت غنيم: المرجع السابق، ص١٠٠-١٠١.

(54) Fliche:op.cit,pp.71-72.

(55) Ibid,p.72.

(٥٦) نيقية: مدينة قديمة يرجع انشاؤها إلى عام ٣١٦ ق.م، تقع بالقرب من بحر مرمرة بآسيا الصغري على بحيرة "اسكانيوس" Ascanius(بحيرة ازنيق Iznik الان) في وادي محاط بجبال قليلة الارتفاع، وتسمي الآن ازنيق (في تركيا)، ولازالت بعض اجزاء من أسوارها القديمة باقية بالرغم من أعمال الترميم البسيطة التي تمت فيها، وقد حكم السلاجقة بقيادة قلج أرسلان المنطقة زمن الحملة الصليبية الأولي، انظر: توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، الاسكندرية ١٩٩٨م، ص٧١ هامش رقم٢٩.

وقد ذكر ياقوت الحموي عن نيقية أنها من "أعمال اصطنبول على البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية .. وهو أول المجامع لهذه الملة "ويقصد بذلك أنها شهدت أول مجمع مسكوني عالمي عام ٣٢٥م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ١٩٧٩م، ج٥، ص٣٣٣.

(57)Fliche:op.cit,p.73.

ليلي عبد الجواد: المرجع السابق، ص١٢٠.

(٥٨) عقد الصليبيون والبنادقة اجتماعًا في معسكر جالاتا في مارس عام ١٢٠٤م حضره من الجانب الصليبي بونيفيس دي مونتفرات وبلدوين فلاندرز ولويس كونت بلوا وهنري سانت بول، ومن الجانب البندقي الدوج داندولو.

وكان الهدف الأول من هذا الاجتماع إعداد العدة للاستيلاء على القسطنطينية وتوزيع غنائمها وأسلابها فيما بينهم، ومن أجل وضع أسس قيام امبراطورية لاتينية جديدة على انقاض الامبراطورية البيزنطية، وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على أنه في حالة سقوط القسطنطينية تقسم الغنائم بالتساوي بين الفرنسيين والبنادقة.

وأن يعهد باختيار امبراطور جديد إلى اثني عشر ناخبًا، ستة من الفرنسيين ومثلهم من البنادقة، ويقسم هؤلاء على أن يعينوا شخصًا من قادة الجيش، يرون أنه أكفأ القوم في

العمل على "إعلاء كلمة الله وشرف كنيسة روما".

ويختار البطريرك من الفريق الذي لم يختار منه الامبراطور، وسوف يكون له الحق في الحصول على كنيسة القديسة صوفيا. وجاء في الاتفاق أيضًا أنه على الفريقين أي الصليبيين والبنادقة أن يبذلوا أقصي جهدهم لإقناع البابا أنوسنت الثالث بأن يصدق على هذا الاتفاق، وأن يصدر قرار الحرمان على كل من سيرفض تنفيذ بنوده، تلك كانت البنود الرئيسية للاتفاق المبرم بين داندولو والبارونات الصليبيين، انظر:

روبرت كلاري: المصدر السابق، ص١٠٩.

Villchardouin: op.cit,p.137,Michaud:op.cit,3,pp.595-598, Setton: op.cit, 2,p.183.

(٥٩) فاز البنادقة بنصيب الأسد بعد استيلاء اللاتين على القسطنطينية، إذ اخذوا حيًا كبيرًا في القسطنطينية يباشرون فيه نشاطهم التجاري، واستولوا على معظم الجزائر القريبة من الشاطئ بما فيها جزيرة أيوبيا، هذا زيادة عن بعض المراكز الساحلية في شبه جزيرة المورة، ورقعة واسعة من الأرض شمالي خليج كورنثه، كذلك ضم البنادقة إلى هذه الممتلكات جزيرة كريت التي اشتروها من بونيفيس دي مونتفرات.

Tout: The Empire,p.349.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٣٩.

(٦٠) يصف لنا المؤرخ البيزنطي نيقتاسخونياتس شخص توماس موروسيني الذي رآه في القسطنطينية في آخريات صيف عام ١٢٠٥م، وبعد وصوله بقليل حيث كان توماس موروسيني يرتدي فيما يقول نيقتاسخونياتس ملابسه الوطنية، التي كانت محكمه عليه لدرجة يبدو معها وكأنها كانت منسوجة ومطرزة على جسده مباشرة، وقد كان حالقًا لدرجة يبدو معها وأنه يستعمل مزيل الشعر، وكانت وجناته مثل وجنات صبي مكشوفة تمامًا.

ويقول نيقتاس ايضًا أنه كان في أواسط العمر، سمين، صدره مثل وجهه ورأسه لم يكن فيه شعر، وكان يلبس خاتمًا في اصبعه، واحيانًا قفازات جلدية.

Nicotas Chonites: Historia, in C.S.H.B., Bonnae 1835, p.824, Longnon: L' Empire Latin,p.84.

(61) Hazlitt: The Venetian Republic, New York 1966, VOL.1,p.311.

(62) Wolff: Studies in the Latin Empire of Constantinople, Book IX,p.228, Walter: La Ruine de Byzance,p.154.

(63) Patrologin Latina, T.215,col.512, Belin: op.cit,pp.53-54, Wolff: "Politics in the

Latin Patriarchate of Constantinople 1204 -1261" in Dumbarton Oaks Papers, T.8,1954,p.228.

(٦٤) ليلي عبد الجواد: المرجع السابق، ص١٢١-١٢٢.

(65)Patrologia Latina,T.215, col.517,Hazlitt: op.cit,1,p.312, Wolff: op.cit.,p.229.
(66)Patrologia Latina, T.215, cols.574-577.
(67) Wolff: op.cit,p.297.
(68) Ibid.

(٦٩) كان للباباوات الدور الأكبر في اختيار البطاركة اللاتين في القسطنطينية، ففي فترة وجود الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية (١٢٠٤ ـ ١٢٦١م) كان هناك ستة بطاركة، صدق البابا أنوسنت الثالث على انتخاب الأول وهو توماس موروسيني (١٢٠٤ ـ ١٢١١م)، وعين الثاني وهو جرفاسيوس Gervasius (١٢١٥ ـ ١٢١٩م)، وعين الثالث وهو ماتيثوس جيسولو Mattaeus Jesolo (١٢٢١ ـ ١٢٢٦م) من قبل البابا هونريوس الثالث (١٢١٦ ـ ١٢٢٧م) أيضًا بعد انتخابات في القسطنطينية كانت موضع نزاع، أما البطريرك الرابع وهو سيمون الصوري (١٢٢٩ ـ ١٢٣٣م) والسادس وهو بانتالون جوستيناني(Pantaleone Giustiniani ١٢٥٣ . ١٢٦١م) فقد عينا من قبل البابا جريجوري التاسع (١٢٢٧ – ١٢٤٢م) والبابا أنوسنت الرابع (١٢٤٢ –١٢٥٤م) مباشرة دون انتخاب سابق من جانب كهنة كنيسة القديسة صوفيا.

ويبدو أن البطريرك الخامس وهو نيكولاس كاسترو اركاتو Nicholas Castro Arquato(١٢٣٤-١٢٥١م) اختير بدون اشتراك من قبل البابا جريجوري التاسع.

Mass Latrie: "Patriarchs Latins" ,T.3,pp.433-435,Walff: op.cit,pp.229-230, Longnon: "Le Patriarcat" ,pp.175-176.
(70) Patrologia Latina T.215,cols.574-576,Wolff:op.cit,pp.230.231.
(71) Wolff: op.cit,p.234, Belin:op.cit,p.84.
(72) Wolff: op.cit,p.237,Longnon: op.cit,p.177,Hazlitt: op.cit,1,p.312.
(73) Patrologia Latina:col.628,Wolff: o.p.cit,p.236.
(74) Patrologia : cols.715,914,Wolff: op.cit,p.236-237,Belin: op.cit, pp.67-69.
(75) Patrologia Latina, cols.949,951,Wolff: o.p.cit,p.238.
(76) Wolff: op.cit,p.239.

(٧٧) سار خلفاء أنوسنت الثالث من البابوات على نهجه هذا فيما بعد، فكانوا أحيانًا يعينون كهنة في كنيسة القديسة صوفيا، ربما بغرض مكافحة النفوذ البندقي، وربما لمجرد الإبقاء على حقهم في هذا الصدد. ليلي عبد الجواد: المرجع السابق، ص١٢٠-١٢٧.

(٧٨) سالونيك Saloniko (Thessalonik – Thessolonica) إحدى موانئ بلاد اليونان

الواقعة إلى الشمال الغربي من شاطئ بحر إيجه شرقي إقليم تساليا (Thessaly) بالقرب من نهر الفاردار Vardar وطريق اجناسيا Via Egnatia ، وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد القسطنطينية في الناحية التجارية، انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٧، ص٣٥٥.

حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية (١٠٨١ ـ ١٢٠٤م)، القاهرة ١٩٩٨م، ٩٧ بالحاشية.

(٧٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه المناقشات والمجادلات، انظر:

Wolff:op.cit,pp.246-252, Mas Latrie: Patriaches, Latins, p.433, Longnon: Le Patriacate,pp.177-178, Belin:op.cit,p.85.

(80) Tout: The Empire, p.349.

(81) Cam.Med.Hist.,vol.4,p.423.

(82) Ostrogorsky: op.cit,p.379.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٣٩.

(83) Fliche: op.cit,T.10,p.76,Vasiliev: op.cit, T.2,pp.217-218.

(84) Patrologia Latina, T.215,cols.471-472,965, Longnon: op.cit,p.65, Vasiliev:op.cit,2,p.218.

(٨٥) ولد حنا ميساريتيس في عام ١١٦٢م، وكان أستاذًا للبلاغة في القسطنطينية، وعندما استولي اللاتين على المدينة انسحب إلى دير القديس جورج مانجانيس Saint Georges Manganes ، وتوفي في ٥ فبراير ١٢٠٧م. انظر:

Janin,R.: "Au Lendemain de la conquete de Constantinople les Tentatives d ' union des Eglises(1204-1208)" dans Echos d' orient, T. XXXII,1933,p.11.

(86) Ibid,p.11.

(87) Patrologia Latina, cols, 541-542.

(٨٨) انظر نص خطاب الامبراطور بلدوين المنشور:

Dufournet: Les ecrivaines des IV Croisade, T,2., p.439.

(89) Patrologia Latina, T.215,cols.699-702, Janin: "Les Tentatives d ' union des Eglises (1208-1214) dans Echos d' orient (1933),p.12.

(90) Ibid,pp.12-13.

(91) Longnon: L ' Empire, pp.93-94, Setton:op.cit,2,,p.196.

(٩٢) رسم تلك الأيقونة شخص يدعي لوقاسLucas، وهو طبيب ورسام بيزنطي، وكانت هذه الأيقونة مصدر ذي قيمة في الدخول والإيرادات، ولعل هذا هو السبب الذي دعا

البودستا البندقي إلى انتزاعها بالقوة فيما بعد رغم قرارات الحرمان التي أصدرها البطريرك ضده، انظر:

Patrologia Latina, cols.1007, Janin: "Les Sanctuaires de Byzance sous La domination Latins (1204-1261)" dans Etudes Byzantines, T.11,1944,p.140.

(٩٣) البودستا Podesta من اللاتينية Patestas بمعني سلطة أو قوة، وهو لقب كان يمنح في أواخر العصور الوسطي لموظف كبير في كثير من المدن الإيطالية، فقد كانت هذه المدن ترسل موظفين يحملون هذا اللقب لإدارة شئون المدن التابعة لها، ومن أمثلة ذلك (البودستا) الذي كان يشرف على رعايا جمهورية البندقية في الشرق البيزنطي، انظر: شارل ديل: البندقية جمهورية ارستقراطية، ص٤٧ حاشية (١).

(94) Janin:"Les Tentatives",p.14, Longnon:op.cit,p.94,Setton:op.cit,2,p.197.

(95) Janin: op.cit,p.14,Longnon:op.cit,p.95.

(96) Janin: op.cit,p.15.

(٩٧) لمزيد من التفاصيل عن هذه المناقشات انظر:

Janin: op.cit,p.15 – 16.

(98) Longnon: L ' Empire,p.95.

(99) Janin: op.cit,p.16, Longnon:L 'Empire,p.95.

(100) Nicol: "The fourth Crusade and Greek and Latin Empires 1204-1261" in Cambridge Medieval History, vol.4,part.1,1966,p.302.

(١٠١)وصفه أكروبوليتا بقوله: "كان رجلاً على درجة كبيرة من العلم والثقافة، إذ كان يعرف لغتنا ولغة غيرنا".

Acropolitas Georgius : Annales, in Corpus Scriptorum Historia Byzantina (C.S.H.B), Bonna 1836,p.13.

(١٠٢) وكان هذا اعلانًا عن قيام امبراطورية نيقية، التي تحولت إليها أنظار سائر البيزنطيين وآمالهم، واعتبر البيزنطيون ثيودور لاسكاريس . على أثر تتويجه على أيدي البطريرك . إمبراطورهم الشرعي، وأدخلوا اسمه في قوائم أباطرتهم، ولم يعترفوا ببلدوين فلاندرز الإمبراطور اللاتيني في القسطنطينية (ولا بخليفته هنري فلاندرز) من بين حكامهم، كما اعتبروا بطريرك نيقية خلال الفترة من (١٢٠٤ . ١٢٦١م) هو بطريرك القسطنطينية الشرعي.

Vasiliev:op.cit,2,p.182, Cam.Med.Hist.,vol.4,part1,p.294.

(١٠٣) ليلي عبد الجواد: المرجع السابق، ص١٣٨.

(104) Patrologia Latina: T.216, cols 1572-1575,Janin: "Les Tentativies", part.2,p.195.

(١٠٥) وصف المؤرخ الألماني "ماير" المندوب البابوي بلاجيوس أنه كان رجلاً متطرفًا عجيبًا جبارًا عنيدًا، مغترًا بنفسه إلى حد بعيد جدًا"، انظر: ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا ١٩٩٠م، ص٣١٦.

وألبانو: مدينة صغيرة في أسبانيا.

(106)Patrologia Latina,T.216,cols.901-902,Janin:"Les Tentatives",pp.196-197.

(١٠٧) لمزيد من التفاصيل انظر:

Wolff:Politics,pp.246-252.

(108)Acropolitae: Annales,p.32.

(109) Ibid,pp.32-33.

(110) Janin:op.cit,pp.197-198, Longnon:op.cit,p.145.

(١١١) مدينة أفسوس Ephesos مدينة في آسيا الصغري على الشاطيء الأسيوي لبحر إيجه قرب مصب نهر كايستر Cyster إلى الجنوب من مدينة سميرنا (أزمير الحالية)، وكان لأفسوس أهمية تجارية، وتعتبر ميناء بديل لسميرنا، انظر: لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت ١٩٨٥م، ص١٨٨.

Ramsay: The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam 1982,p.59.

(112) Acropolitae: op.cit,p.33, Janin:op.cit,p.199,Langnon:op.cit,p.146, Fliche: op.cit,T.10,p.84.

(113) Janin:op.cit,pp.199 -200, Longnon:op.cit,pp.146 -147.

(114) Janin:op.cit,pp.200-201.

(115) Flich:op.cit,T.10,p.84,Longnon:op.cit,p.147, Nicol:op.cit,p.303.

(116)Ibid,p.304.

(١١٧) في ديسمبر عام ١٢١٤م وقع الإمبراطوران هنري فلاندرز وثيودور لاسكاريس معاهدة للسلام في نيمفايوم ـ في آسيا الصغري على مقربة من شاطيء بحر إيجه ـ على أساس أن شبه الجزيرة المقابل للقسطنطينية والمحاط بخط مستقيم يبدأ من رأس خليج نيقوميديا حتي البحر الأسود وكل ساحل بحر مرمرة تظل في حوزة اللاتين، وبذلك يكون الإمبراطور هنري قد تحكم في المضايق، ولم تعد القسطنطينية تخشي أي هجوم من جانب البيزنطيين في نيقية من ناحية البحر.

Acropolitae: op.cit,p.30, Longnon:op.cit,p.128, Grousset: L ' Empire,p.457, Finlary:op.cit,3,p.295.

وعلى الرغم من أن الإمبراطور هنري كان هو المنتصر، إلا أنه ترك لثيودور لاسكاريس

نيقية عاصمة إقليم بيثنيا في شمال غرب آسيا الصغري، فيلادلفيا عاصمة إقليم ليديا Lydie ـ في جنوب غرب آسيا الصغري ـ مع الجزء الأكبر من الأراضي البيزنطية حتي أصبحت إمبراطورية نيقية تمتد من هراقلية على البحر الأسود حتي خليج نيقوميديا.

Acropolitae: op.cit,p.32.

ومن أبرز النتائج التي ترتبت على معاهدة نيمفايوم عام ١٢١٤م بين الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وإمبراطورية نيقية هو اعتراف كل منهما بحق الأخرى في الوجود، وشعور كلاهما بعدم مقدرته على سحق خصمه، إذ لم يكن لدي أي منهما القوة الكافية لتحقيق ذلك، ومن ثم قام نوع من توازن القوي بين الطرفين، وبدأت علاقات الود والصداقة تأخذ طريقها إليهما.

Ostrogorsky: op.cit,p.282.

(١١٨) توفي البابا أنوسنت الثالث في ١٨ يوليو ١٢١٦م الموافق الأول من ربيع الآخر عام ٦١٣هـ.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأوربية

- Acropolitas Georgius : Annales, in Corpus Scriptorum Historia Byzantina (C.S.H.B), Bonna 1836.
- Delile (e'd): "Lettres indites d'innocent III, dans Bibliotheque de l'Ecole des chartes, vol.39,1873.
- Eracles : L'Estoire de Eracles Empercur et le conquette de la Terre d'outremer CF, R.H.C.Hist. occ, T.2., Paris 1859.
- Nicetas Chonites: Historia, ed in Bekker Corpus Scriptorum Historine Byzantinae (C.S.H.B.), Choniates Bonnae 1835.
- Patrologia Latina, In patrologia Cursus Competetus,T.214. (Gesta Innoccent III),T.215, (opera omnia) editorem, j.p.Migne, Paris 1855.
- Villcharduin: La conquete de Constantinople, par les Barons Francais ossaclez aux venitians l' an 1204 English Translation by Sir Marzials, ed. Wailly, Paris 1882, et London 1965.

– توديبود: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، الإسكندرية ١٩٨٨م.

- فيلهاردوان: فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، جدة ١٩٨٢م.

– كلاري (روبرت): فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٤م.

ثانيًا: المراجع الأوربية

- Barrachough (g.) : The Medieval Papacy, London 1975.
- Belin (M.D.) : Histoire de la Latinite, de Constantimople, Paris 1894.
- Brehier (L.) : L'Eglise et L ' orient au moyen age, Les Croisades , Paris 1907.
- Vie et Mart de Byzance.
- Cross : The Oxford Dictionary of the Church Oxford University press, Second Edition, Oxford 1974.
- Dufournet (J.) : Les ecrivaines de la IV ' Croisade Villehardouin et chari,2 vols, Paris 1973.
- Fliche (A.) : Histoire de L ' Eglise, T.10, Paris 1950.
- Gibbon (E.) : The Decline and Fall of the Roman Empire, New York 1976.

- Groussent (R.): Histoire des Croisades Et.du Royaume France de Jerusalem, 3 vols, Paris 1934.
- Hazlitt (W.C.): The Venetian Republic its Rise, its Growth and its Fall, 2 vols , New York 1966.
- Hopf: Geschichte griechenlands van Beginn des mittelalters lis unsere zeit in Erschigruber, Encyclo - pedia , vols.85-86, 1867-68.
- Ishaq Ebeid: "Was Pape Innocent III an accom plice in the diversion of the fourth Crousade" in Egyptian Historical Review, vol.15,1969.Jacob (E.): Innocent III , in C.M.H., ed. Hussey, London 1975.
- Janin (R.): "Au Lendemain de la conquete de Constantinople - Les Tentatives d ' union des Eglises (1204-1208)", "Dans Echos d' orient", T. XXXII,1933.
- _____: "Les Tentatives d ' union des Eglises (1208-1214) ,"Dans Echos d' orient", 1933.
- _____: "Les Sanctuaires de Byzance sous La domination Latins (1204-1261)", "Dans Etudes Byzantines", T.11,1944.
- Longnon (J.) : L' Empire Latin de Constantinople, Paris 1949.
- _____ : "Le Patriar – cat Latin de Constantinople" , "Dans Journal des Savants", 1941.
- Luchaire (A.): Innocent III, La Question d' orient, Paris 1907.
- Mas Latrie L . De.: Patrarches Latins de Constantinople", "Dans Revue de L' Orient Latin", T.III,1895.
- _____: Histoire de l'ile de Chypre Sous Le regne des princes de La maison de lusignan, paris 1852-61
- Michaud (E.) : Histoire de Croisades, vol.3, Paris 1819-20,et (ed) Robert Laffont, Paris 1970.
- Nicol (D.M.): "The fourth Crusade and Greek and Latin Empires 1204-1261", in Cambridge Medieval History, vol.4,part.1,1966.
- Norden (W.): Der vierte Kreuzzug in Rahmen der Byzanz, Berlin 1898.
- Ostrogorsky (G.): History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Oxford 1956.
- Painter : A History of the Middle Ages.
- Pears : The Fall of Constantinople Being The Story of The fourth Crusade, New York 1975.
- Ramsay: The Historical Geography of Asia Minor, Amsterdam 1982.
- Setton (M.K.): A History of the Crusades, vol.2, London 1962.
- Tout : The Empire and The Papacy 418 – 1273, Eighth Edition, London, 1924.

- Vasiliev : Histoire de L' empire Byzantine, T.2, Paris 1932.
- _____ : History of the Byzantnie Empire.
- Wiet: L'Egypte Arabe.
- Winkelmann: Philip van Schwaben und Otto IV ,van Braunschweig, Leipzig 1873 -78.
- Wolff (R.L.): Studies in the Latin Empire of Constantinople.
- _____: "Politics in the Latin patriarchate of Constantinople 1204 -1261", in Dumbarton Oaks Papers, T.8,1954.

ثالثًا: المراجع العربية والمعربة

- اسحق عبيد: روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوش حتي الغزو اللاتيني لمدينة القسطنطينية، القاهرة ١٩٧٠م.
- أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم، بيروت ١٩٥٦م.
- اسمت غنيم: الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، جدة ١٩٧٨م.
- بتلر، ألفريد ج.: الكنائس القبطية القديمة، ج٢.
- جوزيف نسيم يوسف: تاريخ العصور الوسطي الأوربية وحضارتها، الاسكندرية ١٩٨٢م.
- جيبون (إدوارد): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد سليم سالم وآخرون،٣ ج، القاهرة ١٩٩٧م.
- حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية (١٠٨١ ـ ١٢٠٤م)، القاهرة ١٩٩٨م.
- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة ١٩٨٧م.
- ديل (شارل): البندقية جمهورية ارستقراطية، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم، توفيق إسكندر، القاهرة ١٩٤٨م.
- رنسيمان (ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ٣ ج، بيروت ١٩٦٧م.

- _____: الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦١م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطي، جزءان، القاهرة ١٩٦٣م.
- _____ : الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة ١٩٨٦م.
- سيد أحمد علي الناصري: الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقتهم بالمشرق العربي، القاهرة ١٩٩٣م.
- عبد القادر أحمد يوسف: الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٦٦م.
- فشر (هـ. أ. ل.): تاريخ أوربا العصور الوسطي، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، ج١، القاهرة، ١٩٦٩م.
- كولتون: عالم العصور الوسطي في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٨٣م.
- كين (موريس) حضارة أوربا في العصور الوسطي، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٩٢م.
- لسترنج (كي) : بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت ١٩٨٥م.
- ليلي عبد الجواد: السياسة الخارجية للمملكة اللاتينية في القسطنطينية ١٢٠٤ . ١٢٦١م، رسالة ماجستير، آداب القاهرة ١٩٨٠م.
- ماير (هانس إيرهارد): تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة عماد الدين غانم، ليبيا ١٩٩٠م.
- موس (سانت) : ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة ١٩٦٧م.
- هارتمان (ل.م.و. ج. بار اكلاف). : الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطي، ترجمة وتعليق جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية ١٩٨٤م.